أرشيفو

ARCHIVO

نشـرة تهتم بموضوعات الأرشـيف تصدر عن
مركـــــز أوال للدراســـــات والتوثيـــق
العدد 2 - أيار/ مايو 2016

أرشيفو
ARCHIVO

نشـرة تهتم بموضوعات الأرشـيف تصدر عن
مركـــــز أوال للـدراســـــات والتوثيـــق

العدد 2 - أيار/ مايو 2016

نشرة تصدر كل شهرين عن مركز أوال للدراسات والتوثيق، تحت عنوان (أرشيفو) تعنى بقضايا الأرشيف، تنطلق من البحرين إلى الخليج إلى العالم العربي وخارجه.

تغطي النشرة المجالات التالية: المشكلات التي تواجه الأرشيف، طرق حفظ الأرشيف، التعريف بأصحاب الأرشيف الأهلي ومراكز الإرشيف الرسمي، التعريف بالمدونات والمواقع الإلكترونية المهتمة بالوثائق والأرشيف، ترجمة المقالات المنشورة بلغات أجنبية، مراجعة الكتب المتعلقة بالأرشيف ومتابعة الأنشطة والفعاليات ذات العلاقة بالذاكرة والأرشيف.

عنوان النشرة يشير إلى أن كلمة (أرشيف Archives) متقاربة النطق والكتابة والجذر في أغلب لغات العالم، وفي اللغة البرتغالية تنطق هكذا (أرشيفو Arguiv).

رئيس التحرير : د. علي الديري
مدير التحرير : وسام السبع
سكرتيرة التحرير : آلاء هاشم

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION
info@awalcentre.com | www.awalcentre.com
awalcentre

الفهرس

1 | الافتتاحية 5
الأرشيف والجدات والأمل المصون 5

2 | أمناء الذاكرة 9
مكتبة الدكتور علي زيتون 9
العرائض السياسية البحرانية المفقودة في أرشيف الوكالة البريطانية 13

3 | ديوان الذاكرة 25
مليون ونصف قصاصة صحافية مفهرسة 25

4 | ثقافة أرشيفية 35
الأرشيف القومي الكندي 35
آلية التّصوير المُصَغر وإسهاماتها في عالم الأرشيف والمحفوظات 41
حق الوصول إلى المعلومات: بين مصالح الأنظمة وأحلام الشّعوب.. 44
من «الأوتودافي» إلى محارق الذّاكرة الجماعية 47

5 | وثيقة وحكاية 51
علاقة القبائل العربية في البصرة بالبرتغاليين 51

6 | كشكول 55
حادثة الأسد 55
رحلتي مع المخطوط 68

7 | متابعات 73

8 | ذاكرة الصورة 77
سيهات ...نورس يطلّ علينا من قلب القطيف 77

الافتتاحية

الأرشيف والجدات والأمل المصون

رئيس التحرير

في زيارة أوباما للأرجنتين في مارس 2016، انشغل الإعلام برقصة (التانغو) التي أدتها الأرجنتينية الشهيرة مورا غودوي مع الرئيس. يكاد لا يتذكر كثيرون، إشارته إلى جملة لافتة، وإشادته بجهة هامة، الجملة تخص الكاتب الأرجنتيني خورخي لويس بورخيس «في هذا البلد لدينا حق مصون في الأمل»، والإشادة تخص «رابطة جدات ساحة مايو». ما علاقة ذلك بالأرشيف؟

(رابطة جدات ساحة مايو) هي منظمة غير حكومية، ولها تاريخ يمتد على أكثر من ثلاثين سنة في النضال والعمل دفاعا عن حقوق الإنسان.

تعمل الرابطة منذ عام 1977، في البحث والتقصي عن جميع المخطوفين والمفقودين بسبب القمع السياسي الذي وقع في الأرجنتين إبان الديكتاتورية العسكرية. في 2010 قررت اليونسكو أن تمنح هذه الرابطة جائزة (فيليكس هوفويه) المخصصة لتكريم الأشخاص والمؤسسات أو المنظمات التي تسهم إسهاما مرموقا في تعزيز السلام أو السعي إليه أو صونه أو استدامته.

وهذا الجانب هو الذي دفع أوباما ليشيد بأمهات وجدات ساحة مايو اللواتي طالبن بمحاسبة العسكريين بعد اختفاء أبنائهن، والأهم من الإشادة هو إعلانه عن فتح «الأرشيف العسكري وأرشيف وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية» من أجل المساهمة في تسليط الضوء على اختفاء العديد من المعارضين.

إنه نضال الجدات إذن من أجل فتح أرشيف الحقيقة، لم تتخل جدات (مايو) عن أبنائهن، وأجبرن الجميع على فتح الأرشيف، كي تبقى الذاكرة حية ومعتبرِة ومصانة. لكن ماذا لو فتحنا الأرشيف الأمريكي في البلدان التي عانت من ويلات اغتيال الأمل في الحرية والكرامة، سيكون الجواب، على لسان (أوباما) أيضا وأيضا: «إن فتحنا مجالاً للأفراد في الولايات المتحدة أن يقاضوا حكومات أخرى، فهذا يعني أننا نفتح المجال لأفراد العالم أن يقاضوا الحكومة الأميركية باستمرار».

لقد مارست الجدات حق الأمل الذي صاغه أديب الأرجنتين العظيم الذي لم يكن يملك بصر العين، لكنه كان يملك بصيرة الأمل «في هذا البلد لدينا حق مصون في الأمل». هناك حيث يكون الأرشيف، يظل الأمل مصوناً..

أمناء الذاكرة

مكتبة الدكتور علي زيتون:

التراث القديم يلتقي والحديث في "حوش الرافقة" البقاعية في رابية "علي زيتون"..

زينب الطحان*

«قال لي الكتاب ثمنه ليرة وعشرة قروش»؛ نظرت إلى نقودي وجدتها لا تتجاوز التسعين قرشاً؛ ممدت له يدي قائلا: «ليس لدي غيرها»، رفع حاجبيه معلناً لي رفضه. لم يبق أمامي إلا الخروج خالي الوفاض. ومن ثم وقفت أتأمل كتاب «العواصف» لجبران خليل جبران وأنا واقف خلف زجاج مكتبة المعدارني في زحلة، جبران الذي كنت شغوفاً بقراءة كتبه إلى حدٍ كبير لم تسعفني كل محاولاتي المضنية في الادخار من تجميع ثمن كتابه هذا. هل تعلمين كيف كنت أوفّر النقود لشراء الكتب؟!..بدأت وأنا في المرحلة المتوسطة من دراستي؛ ولد صغير لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره، كنت أقول للسائق الذي يقلّني ورفاقي من ضيعتي إلى مدينة زحلة، اثنين بواحد، إذ كان ثمن أجرة النقل للشخص الواحد ربع ليرة. فأحياناً كنّا نوفق بسائق يوافق على شرطنا، لنتمكن من ادخار بعض القروش. وبعد جهد جهيد تمكنت من ادخار هذه القروش فهل أقبل بالهزيمة وخيبة الأمل؟!.. حثّني رفيقي الذي كان معي على معاودة المحاولة؛ دخلنا مجدّداً وأجرينا مداولات عديدة حتى وافق أخيراً: «خذه واخرج».

عصامي يقتني المعرفة:

الباحث والناقد والأستاذ الجامعي الدكتور علي مهدي زيتون، من بيئة فقيرة تعيش في ضيعة بقاعية من لبنان تسمّى «حوش الرافقة»، ولد في العام 1947 في بيت صغير، علّمته قسوة الحياة أن الدنيا تؤخذ غلاباً، وقلّة نادرة من الناس من يُولد وفي فمه ملعقة ذهب. ولكنّه هو بجهوده الخاصة وبعصاميته الشريفة تمّكن أن يخلق لنفسه عالماً أروع من الذهب، تملّكه حبّ المعرفة منذ صغره. وكان يراها بعيدة عنه كل البعد فجلبها إليه متحدياً كل صعاب الحياة. يروي الدكتور زيتون لنا حكايته مع الفقر وشغفه بالكتاب: «في المرحلة المتوسطة والثانوية كنت أجمع بعض القروش التي

أستطيع بها أن أشتري كتابا معينا.. فلم يكن هناك من مصدر مالي محدد يمكن أن يساعدني على الشراء .. فأنا من بيئة فقيرة في قرية بقاعية فقيرة، وكان الأهل بالجهد الجهيد يشترون لنا الكتب المدرسية فلم يكن باستطاعتهم أيضا تأمين كتب أخرى. فقد كانوا يعطونا يوميا نصف ليرة للذهاب والإياب من المدرسة في زحلة. وكنا نوفّر من النصف الليرة . وكان واحدنا في تلك المرحلة يقضي شتاءه كاملا بالذهاب إلى زحلة للتعلم ويعود منها ببنطال واحد وقميص واحد لا كنزة ولا سترة تقيه من قساوة الثلج والبرد. وفي أول الشتاء كان أهلنا يشترون لنا جزمة واحدة يجب أن تستمر متحدية الثلج والبرد والوحول حتى نهاية المدرسة.. وفي الصيف كانوا يشترون لنا حذاء واحدا وأيضا يفترض أن نقضي به كل الموسم(كنا نسميه قديما شوادر) يجب أن نكمل به صيفنا.. لم يكن هناك رصيد لشراء الكتب أبدا كنا نلعب على وتر النقليات لكي نوفّر لشراء الكتب لنطالعها».

المكتبة: أسفار وتراث

اليوم تتربّع في بيته المؤلف من طبقتين مكتبة ضخمة يتجاوز عدد الكتب فيها الأربعة الاف، وكلّها من كنوز الكتب التراثية الأدبية والتاريخية. الناقد والباحث الأستاذ الجامعي الدكتور علي زيتون، اسم يتشرّف به أهل البقاع قاطبة لمآثره الثقافية ودوره الاجتماعي في المنطقة، حيث يرأس الملتقى الثقافي الجامعي، ويدير مع الشاعر عمر شبلي مجلة «المنافذ الثقافيّة» يترك فيها الدور الكبير لطلابه الكثر في شحذ قدراتهم البحثية النقدية.

إلا إن لمكتبته الخاصة قصة أخرى، فهو لم يتقصّد أبداً تأسيسها؛ كان شغفه بالمعرفة والثقافة تدفعه دفعاً إلى شراء أي كتاب يراه حاجة ملّحة له في مشواره العلمي الذي بدأ منذ السبعينيات من القرن الماضي، عندما انتسب إلى جامعة دمشق بدأ اهتمامه بالكتب يزداد شغفاً، مع الكتب المقررة في الجامعة التي كان يحتفظ بها تباعاً عاماً بعد عام حتى السنوات الأربع، ولا تزال جزءاً من مكتبته الخاصة. يقول الدكتور زيتون: «في الحقيقة لم أفكر بإنشاء مكتبة لكنني كنت شغوفا بالكتاب عموما، خصوصا عندما بدأت بدراستي الجامعية ومن ثم الماجستير والدكتوراه الحلقة الثالثة وبعدها الدكتوراه الفئة الأولى دولة. كان الموضوع الذي اخترته موضوعا تراثيا يتعلق بشعر ابن الساعاتي الذي ينتمي إلى القرن السادس الهجري (الثاني عشر ميلادي) وكان عليّ أن اعود إلى كتب مجاميع الأدب لكي أتعرّف سيرة هذا الشاعر وإلى الرجالات الذين اتصل بهم وإلى سيرهم وإلى مرحلته التاريخية ومميزاتها وظروفها، فكنت لا اعتمد كثيرا على ما يوجد من مجاميع في المكتبات العامة بل كنت أفتش في كل دور النشر والمعارض والمكتبات الضخمة عن مثل هذه الكتب وأقوم باقتنائها ..».

لم يوفّر الطالب علي زيتون الطموح بامتلاك المعرفة فرصة إلا ويستغلها لجلب ما كان يحتاجه من كتب ومخطوطات في تلك المرحلة من حياته. فقد كان يوصي أصحاب دور النشر في بيروت وسوريا التي أيضاً درس فيها حيث حصّل الثانوية العامة والإجازة في اللغة العربية وآدابها. يعدّ اللوائح بأسماء الكتب التي يحتاجها ويرسلها مع المسافرين والمغتربين. ولا ينسى كيف أوصى والديه عندما سافرا إلى العراق بغرض زيارة المقامات المقدسة بشراء كتب «وفيات الأعيان» لابن خلّكان، حيث حملا له المجموعة كلها معهما متحمّلين أعباء السفر في تلك المرحلة الزمنية، في السبيعينيات، عندما كان السفر بحد ذاته صعباً للغاية. وطبعاً هو بدوره كان يلّف على دور

النشر والمعارض في بيروت ليشتري كل ما يرى أنه سيكون عوناً له في دراسته وأبحاثه الجامعية.

ومن هنا توجد «في مكتبتي مجموعة كبيرة من هذه المجاميع من «الأغاني» إلى «وفيات الأعيان» إلى مصادر الدراسة الأدبية بأنواعها المختلفة»- يقول الدكتور زيتون - ويكمل: «في أثناء دراستي الدكتوراه في الإعجاز القرآني وأثره في تطور النقد الأدبي كان عليّ الاتصال بالمدارس الكلامية وذلك لأن الاعجاز يتعلق بمسألة كلام الله، هل هو قديم أم محدث. وقد بنى الأشاعرة على نظرية قدم القرآن الكريم كل حركتهم النقدية وكذلك المعتزلة بنوا على رأيهم في حدوث القرآن الكريم كل حركتهم النقدية. المهم أن دراسة الاعجاز لفتت اهتمامي إلى المدارس الكلامية فإذا بي عندما أحظى بكتاب للمعتزلة أو الاشاعرة اقتنيه على الفور. وحين كنت في معترك السياسة في مرحلة من حياتي أقنيت كل الكتب التي لها علاقة بالفلسفة الوجودية من ناحية وبالفلسفة الماركسية من ناحية أخرى. وتشكّل مجموعة الكتب الفلسفية المرتبطة بالوجودية أو بالماركسية جزءا من هذه المكتبة..».

تتوزع مكتبة الباحث الدكتور علي زيتون إلى أصناف مختلفة من العناوين المتعددة، فالصنف الأول الذي تتأسس منه المكتبة هي المجاميع التي تتناول أعلام الشعر والأدب في التراث العربي كله. وكما أن للحداثة الأدبية والحداثة الشعرية حيّزا كبيرا، إذ تجد فيها الكتب التي تتناول الأدب والنقد واللغة من منظار حداثي. وهناك قسم كبير من المكتبة قد يعادل خمس المكتبة أو أكثر هو من كتب النقد الأدبي التي تعنى بالقضايا الحداثية نقدا وشعرا وايقاعا ولغة وإلى ما هنالك. إضافة إلى الكتب التي تعنى بالتاريخ والسياسة والفلسفة الإسلامية والغربية.

حين كنت في معترك السياسة في مرحلة من حياتي أقنيت كل الكتب التي لها علاقة بالفلسفة الوجودية من ناحية وبالفلسفة الماركسية من ناحية أخرى. وتشكّل مجموعة الكتب الفلسفية المرتبطة بالوجودية أو بالماركسية جزءا من هذه المكتبة..

تضمّ المكتبة نحو أربعة الاف كتاب وأكثر ربما، إذ لم يجرِ الدكتور زيتون إحصاء دقيقاً لها. وكانت موزّعة بشكل عشوائي، غير أن طلاب زيتون قدموا هذا الصيف إلى منزله وقاموا بورش عمل عديدة صنّفوا فيها كل ما تحتويه هذه المكتبة الغنية. وهناك خزانات خاصة للنقد الأدبي وخزانات خاصة بالشعر، وهناك كتب الرواية والمجموعات القصصية، خزانة وأكثر تخصهم، إلى جانب كتب النقد الأدبي القديم بدءا من كتب القرن الثالث الهجري، الجاحظ وابن قتيبة وابن سلام الجمحي.. أي كل أسماء الأعلام والتراجم من القرن الثالث. وكذلك كتب من القرن الرابع والخامس والسادس والسابع إلى القرن الثامن الهجري كل كتب النقد الأدبي القديمة وكل ما كتب عنها ...

مؤلفات «زيتون» تضفي رونقها الخاص:

يُضاف إلى هذه المكتبة الثرية مجموعة مهمة من مؤلفات الباحث نفسه، الدكتور زيتون، الذي استغلّ جهده البحثي الطويل خلال تدريسه النقد الأدبي في الجامعة اللبنانية أن تمكّن من إعداد كتب مهمة شكّلت عوناً رائداً للطلاب والباحثين على السواء. فبعد أطروحة الدكتوراه، التي نشرت في دار المشرق تابعة لدير الأباء اليسوعيين، وكانت بعنوان «الإعجاز القرآني وأثره في تطور النقد الأدبي من بداية القرن الخامس الهجري إلى نهاية القرن السابع الهجري»، صدر له في مطلع حياته التدريسية في الجامعة ثلاثة كتب، الأول عن الحداثة الشعرية والثاني عن الشاعر العراقي السياب: لغته ورؤيته إلى العالم، والثالث في لغة الشاعر اللبناني محمد علي شمس الدين الشعرية. بعدها صدر له شرح دواوين شعرية، لأهم شعراء العصر الأموي والعباسي، إلى جانب ديوان منسوب إلى الإمام علي (ع) عن دار الجيل. كما كُلف بتحقيق «تاريخ القرماني»، وهذا الكتاب بعدما صار بين يدي الناشر خرج من لبنان بظروف غامضة وفقد كل أثر له. وبعدها صدر كتاب «النص الشعري المقاوم في لبنان»؛ «النص من سلطة المجتمع إلى سلطة المتلقي»، ومن ثم ثلاثة كتب عن دار الفارابي، «الاعجاز القرآني والنقد الأدبي»، وهو متمم لما بدأ به في أطروحة الدكتوراه، و»أدبية الخطابة الإسلامية، مدرسة نهج البلاغة»، وكتاب «في مدار النقد الأدبي»، وأخيرا صدر له مجموعة شعرية بعنوان « سجال الرؤية ورؤيا».

يأسف الدكتور علي زيتون لحال الكتاب اليوم، ولعدم اهتمام طلاب الجامعات بتكوين مكتبتهم الخاصة. فهو يرى أن المقرّرات الجامعية لم تعد تكفي لتقديم المعرفة والثقافة اللازمة للطلاب الجامعيين، وذلك لأن العديد من الأساتذة يلجأون إلى محرك البحث العالمي على شبكة الانترنت «غوغل» ويسحبون منه المادة والمعلومات، ويلصقونها ببعضها البعض ومن ثم يقدمونها للطلاب. وهذا عمل مؤسف فعلاً. من هنا يوجّه الباحث زيتون طالب اليوم «الذي يتوخى مستقبلا علميا محددا أن يبدأ من سنته الأولى باقتناء الكتب التي يحتاج إليها في اختصاصه وتفيده وليجمعها شيئا فشيئا فيأتي زمن يجد أن لديه مكتبة تفرح القلب ويعتز بها. وخصوصا في مرحلة بات العزوف عن الكتاب أمرا سهلا». وبتقديره المسؤولية جماعية تقع على الأهل والجامعة والأساتذة ومن ثم على مؤلفي الكتب والباحثين أنفسهم، إذ عليهم أن يؤلفوا كتباً مغرية لهذا الجيل تلفت انتباههم وتدفعهم دفعا لكي يقرأوا الكتاب ويقتنوه.

*كاتبة وإعلامية لبنانية

العرائض السياسية البحرانية المفقودة في أرشيف الوكالة البريطانية

عباس المرشد*

إن إعادة قراءة الماضي هي إعادة بناء، وأحيانا على حساب تهديمات مكلفة..بول ريكور[1].

تنطلق هذه المقالة من فضاء الأسئلة الكبرى الرئيسية في مجال كتابة الذاكرة الجماعية، كأن تُطرح الأسئلة التالية: كيف يمكن استعادة الذاكرة الجماعية؟ ولماذا تعاد كتابة التاريخ؟ ومن يقوم بعملية تفسير الأرشيف السياسي وترتيبه ؟ ومتى يمكن ان تتحول؟

الذكريات إلى ذاكرة أرشيفية؟

هي اسئلة يصعب الإجابة عنها في ظل غياب سياسة عادلة للذاكرة كما في حالة ذاكرة البحرانيين في بلدهم، حيث تكتسب المسألة بعدا معقدا وتصبح معقدة ومركبة، عندما تصبح الذاكرة الجماعية لجماعة ما عرضة للإقصاء والكبت، لكونها ذاكرة أناس مغلوبين. وهذا ما تعانيه الذاكرة الجماعية لأهل البحرين، فذاكرتهم الجماعية مشتتة كتشتّتهم، وهي عرضة للإقصاء وفق قانون كم الأفواه، ولا يسمح لهم بالظهور والتحدث عند كتابة تاريخ البحرين.

يظهر البعد المعقد والمركب في مسألة العودة دائما لإعادة كتابة التاريخ في كل لحظة مفصلية تقوى فيها الذاكرة الجماعية للبحارنة، او عندما تستعيد بعض حضورها وقوتها، كمحاولة لاستعادة الأمكنة والأزمنة التي اختفت فعلا بسبب الهدم أو النسيان. ربما ارتكز بعض الناس على الأرشيف المحفوظ والنظر إليه على أنه مضمون ومحتوى الذاكرة الجماعية، إلا أن الأرشيف برغم غناه، فهو لا يشكل سوى «لحظة الدخول في الكتابة لعملية كتابة التاريخ» وتتجلى أهمية الوثيقة في طريقة اشتغال المؤرخ وأدواته؛ لأن الوثيقة ليست معطى، بل هي شيء مبحوث ومهيء ومؤسَّس. من هنا لا تكتسي الأرشيفات سوى قيمة نسبية، لأنها تبقى موقعا اجتماعيا تتحكم فيه إجرائية الوثائقيين ثم المؤرخين. ان المسألة الأساسية تبقى في كل هذه الأمور مسألة كتابة وإعادة كتابة، مسألة بناء وإعادة بناء، مسألة رؤية، مسألة تأويل. ومعنى ذلك، أن ما يظهر عندما نغير المقياس ليس هو التسلسل، وإنما العلاقات التي بقيت خفية على المستوى الانساني.

سنحاول هنا استعراض نماذج من العرائض السياسية التي قدمها البحارنة للتخلص من واقعهم السيئ، لما لها من أهمية في رصد الواقع أنذاك، والمطالب التي طرحت من جهة، ومن جهة ثانية التعرف إلى نتائج تلك العرائض ومدى الاستجابة لها.

جذور الاضطهاد ليس عسيرا على الباحث أن يتلمس جذور المطالبة بالإصلاح وتحقيق العدالة لدى البحارنة في بداية القرن العشرين، مقارنة بالفترات التاريخية السابقة التي يصعب الحصول فيها حاليا على وثائق كافية لتعيين بداية الثورة على المظالم. وباستثناء الإشارات القليلة التي سجلها التاريخ القديم عن ثورة البحارنة على الحكم القرمطي في القرن الثالث الهجري، إضافة إلى بعض المعلومات الضئيلة التي وصلتنا عن مقاومتهم للغزو البرتغالي فإن هناك نقصا واضحا وكبيرا في استكمال التاريخ السياسي للبحارنة.

تبدأ بداية مطالبة البحارنة بالإصلاح الإداري والسياسي مع فترة ديسكون (Harold Richard Patrick Dickson) الذي شغل منصب المعتمد البريطاني[2] في البحرين من 1919 حتى 1920. فخلال هذه الفترة تصاعدت رغبة بريطانيا في تنحية الحاكم عيسى بن علي ال خليفة (حكم البحرين من 1869 - 1923) باعتباره رجلا طاعنا في السن وإداراته الداخلية أخذت تسوء بشكل لا يحتمل. وفي رسالة المقيم تريفور المؤرخة ب 6 يناير 1922 يصفه فيها بأنه « مصا ب تماما بالخرف وخاضع بالكامل لزوجته بحيث لا يمكنه فعل أي شيء في هذا الخصوص»[3]. هذا الرجل العجوز لم يكن قبل ذلك خرفا، لكنه كان ضعيفا في إدارة البلاد التي تولى أمرها منذ 1869 وظل يحكم البحرين بمشاركة عمه أحمد بن خليفة، الذي كان يعتبر الرجل الاقوى وقتها، وكانت حصته تبلغ نصف الثروات وعند موته في 1893 حجزت ثروته وتقاسم أبناء الشيخ عيسى وإخوانه البحرين، وفق نظام مقاطعات فريد، وهذا ما جعل سوء الإدارة وشيوع المظالم وزيادة الاستبداد طابعا عاما للنظام الحاكم[4]. سوء الإدارة والاستبداد هما من المظاهر الواضحة التي لم يكن بمقدور أحد ان يغمض عينيه عنها، فهناك فئة يقع عليها الحيف والظلم بشكل دائم ومقصود برغم أنهم كانوا الملاك الأصليين للأرض وهم الذين كانوا يسكنون البحرين قبل قدوم عائلة الخليفة سنة 1783 واحتلالها لها. إلى جانب ذلك كانت هناك فئات تعفى من الضرائب، ولها مكانة اجتماعية وسياسية لمجرد أنها متحالفة مع العائلة الحاكمة كما في حالة قبيلة الدواسر، أو لأنها كانت تستخدم كثكنة للجنود في حالات الحرب مثل قبيلة النعيم، فكان الحاكم يصرف كثيرا من موارد الدولة لاسترضائهم أو إكراما منه لهم.

يصف لوريمر وضع البحارنة مطلع القرن العشرين « 1904 «بأنهم من حيث العدد هم أكبر طبقة، إلا أنهم لم يكونوا مهمين من الناحية السياسية، وفي الواقع كان وضعهم أحسن قليلا من وضع العبيد، وفي أيديهم معظم زراعة النخيل ،والزراعة في الجزر، ولكنهم أيضا يعتمدون أقل من إخوانهم السنة على صيد اللؤلؤ، وعلى أعمال ملاحية أخرى»[5].

ويضيف لوريمر عن طبيعة الإدارة المحلية والامتيازات الطبقية: «حكومة البحرين ذات طبيعة مفككة غير منظمة ، ويحكمها في الوقت الحاضر شيخ يدعى عيسى بن علي بمساعدة وزير أو مستشار رئيسي، يصرف الأمور ذات الأهمية السياسية أو العامة....ويقيم الشيخ في المنامة أثناء الشهور الأربعة التي يكون فيها المناخ حارا ومركزه الرئيسي في بقية العام هومدينة المحرق، ولكنه ينهمك في رحلات

متكررة، ويستولي الأخ والأبناء وأبناء الأخ وأقرباء آخرون قريبون على إقطاعات في أماكن مختلفة، يمتلكونها امتلاكا مستقلا تقريبا مدى الحياة، وهم يجمعون الضرائب من هذه الإقطاعيات لمصلحتهم، ويمارسون الحقوق القضائية والسيادية عليها، والأمكنة شبه المستقلة من هذا النوع في الوقت الحاضر هي في تصرف أحد أخوة الشيخ، وتشمل جزر سترة والنبيه صالح، كما أن له أيضا جميع القرى في الجانب الشرقي من جزيرة البحرين إلى جنوب خور الكب والقرى الداخلية في الرفاع الشرقي والرفاع الغربي، والمفروض أن هذه الإقطاعيات تسترد عند موت صاحبها ولو نظريا على الأقل، وليس هنالك ما يوجب منحها للورثة[6].

الامتيازات الطبقية:

إن حالة طبقة المزارعين البحارنة تحت حكم الشيخ وأقاربه في البحرين، هي تعسة، فهم يشقون بالسخرة الدائمة، وهم ومراكبهم وحيواناتهم ووضعهم بالنسبة للأرض هو وضع القن أي «عبد الأرض» لا وضع المستأجر الذي يملك الحرية. وإذا عجزوا عن أن يسلموا كمية معينة من المحصول يزداد الظلم والعدوان بواسطة خدم الشيخ وأقاربه فسرعان ما يطردون من منازلهم وفي بعض الحالات يضربون ويسجنون أيضا ... ولبعض البحارنة ملكية اسمية للأراضي بعد أن سمح لهم في الماضي أن يشتروا حدائق، ويحصلوا على سندات لها، ولكن أملاكهم غالبا تسترجع من دون سبب معقول، حتى أبناء الحاكم الحالي يشبهون بهذا الظلم أسلافهم ،وغالبا ما يسرق البدو محاصيل البحارنة فيما هم وحيواناتهم يطوفون بالجزيرة.

في الظاهر، يبدو أن البحارنة لا يعدمون من دون محاكمة منظمة من القاضي، ولكن هناك ما يدعو إلى الشك في

التراث البحراني له من العمق الزماني الذي يمثّل سابقيه على الكثير من أزمنة التراث الأخرى

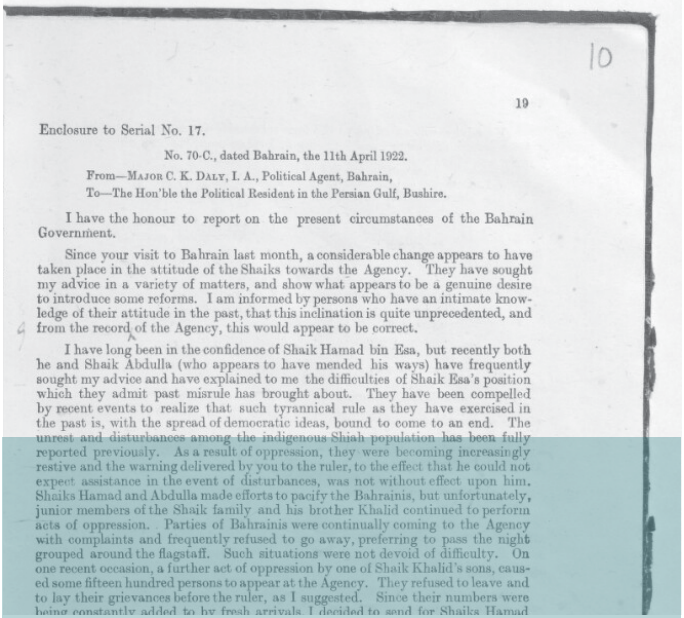

10

19

Enclosure to Serial No. 17.

No. 70-C., dated Bahrain, the 11th April 1922.

From—Major C. K. Daly, I. A., Political Agent, Bahrain,

To—The Hon'ble the Political Resident in the Persian Gulf, Bushire.

I have the honour to report on the present circumstances of the Bahrain Government.

Since your visit to Bahrain last month, a considerable change appears to have taken place in the attitude of the Shaiks towards the Agency. They have sought my advice in a variety of matters, and show what appears to be a genuine desire to introduce some reforms. I am informed by persons who have an intimate knowledge of their attitude in the past, that this inclination is quite unprecedented, and from the record of the Agency, this would appear to be correct.

I have long been in the confidence of Shaik Hamad bin Esa, but recently both he and Shaik Abdulla (who appears to have mended his ways) have frequently sought my advice and have explained to me the difficulties of Shaik Esa's position which they admit past misrule has brought about. They have been compelled by recent events to realize that such tyrannical rule as they have exercised in the past is, with the spread of democratic ideas, bound to come to an end. The unrest and disturbances among the indigenous Shiah population has been fully reported previously. As a result of oppression, they were becoming increasingly restive and the warning delivered by you to the ruler, to the effect that he could not expect assistance in the event of disturbances, was not without effect upon him. Shaiks Hamad and Abdulla made efforts to pacify the Bahrainis, but unfortunately, junior members of the Shaik family and his brother Khalid continued to perform acts of oppression. Parties of Bahrainis were continually coming to the Agency with complaints and frequently refused to go away, preferring to pass the night grouped around the flagstaff. Such situations were not devoid of difficulty. On one recent occasion, a further act of oppression by one of Shaik Khalid's sons, caused some fifteen hundred persons to appear at the Agency. They refused to leave and to lay their grievances before the ruler, as I suggested. Since their numbers were being constantly added to by fresh arrivals, I decided to send for Shaiks Hamad

أن الموت قد يحدث نتيجة سوء المعاملة التي يلاقونها، وهم محتجزون في بعض الأحيان، كذلك فنساؤهم عرضة لمضايقات خدم الشيخ، وإذا اضطهد البحارنة أكثر مما يتحملون، فإنهم أحيانا يهاجرون إلى واحات القطيف وهي وسيلة تعتبر العلامة الأساسية على عدم إنسانية أسيادهم[7]». تجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ عيسى بن علي ال خليفة جرى تنصيبه حاكما على البحرين برغبة وبقرار بريطاني سنة 1869، بعد ان تدخلت العسكرية البريطانية في البحرين، واحتجزت كلا من الشيخ عبدالله ال خليفة والشيخ محمد بن خليفة، ونفتهم عن البحرين وكان عيسى بن علي لاجئا في قطر مع عائلته بعد مقتل ابيه من قبل رجال محمد بن خليفة في1867 . استمر هذا الوضع من دون تدخل من قبل الإدارة البريطانية تحت حجة أنها أمور داخلية ومن خصوصيات الشيخ الحاكم، وبتعبير أخر كانت السياسة التي اعتمدتها الإدارة البريطانية بعد أحداث عامي 1904 - 1905 تقوم على أن «إصلاح الحكومة الداخلية ينبغي أن يتحقق عبر الوسائل غير المباشرة والمسالمة من خلال زيادة نفوذ الشيخ وكسب ثقته» ولكن عندما اصبح موضوع الجمارك مهما جدا وملحا بالنسبة للمصالح البريطانية السياسية، ومصالح السفن التجارية البريطانية، كثف المسؤولون البريطانيون جهودهم لترسيخ استبداد الحاكم عيسى بن علي.

ليس خافيا إذاً أن حالة العجز والاضطهاد التي كان البحارنة يعيشونها أنذاك هي نتيجة متوقعة لسيطرة النسق القبلي، وإحكامه السيطرة التامة على الخيرات والموارد الاقتصادية كما يقول الخوري[8]، إلا ان الأهم هو حالة الإنهاك العسكري، الذي شهده المجتمع البحراني منذ 1783 إذ اصبح ساحة مفتوحة لصراع قبلي وإقليمي واسع النطاق. نتيجة لذلك فإن البحارنة، ومنذ ذاك التاريخ على الاقل تعرضوا لهزات عسكرية وسياسية، تقوم على ما يمكن تسميته اقتصاد الحرب أو اقتصاد العنف، فخلف الحرب والقمع تقع الغنائم والثروات والخيرات، التي يمكن الحصول عليها من اصحاب الأرض الباقين او مصادرة املاك المهاجرين والقتلى. في مقابل اضطهاد البحارنة توسّع النسق القبلي عبر توسيع التحالف بين القبائل المستولية على البحرين، ودعوتهم للاستقرار في هذا البلد، وتوفير ما يمكن أن يشجعهم على البقاء كما في حالة قبيلة الدواسر التي تحالفت مع عائلة آل خليفة في 1843، ونزحت للاستقرار في البحرين، لكنها سرعان ما أصبحت قوة نافذة، تسطير على الغوص وتقيم مناطق محمية لها تُعفى من الضرائب.

منذ 1919 أصبحت بريطانيا أكثر قلقا مع تزايد حالات عدم الاستقرار وتهديد الأمن الداخلي للمصالح التجارية والسياسية البريطانية، وعبر الوكيل ديسكون أعادت بريطانيا تشغيل المجلس البلدي وجعلته نشطا، كما أسست محكمة عليا خاصة للفصل في النزاعات بين الاجانب المقيمين في البحرين[9]. لقد أدى إدخال بعض مظاهر البيروقراطية الحديثة على نظام الحكم إلى شيوع رغبة واسعة في التحرر لدى البحارنة واصبحوا يعملون كقوة صاعدة، ترفض التهميش والإقصاء. وما من شك أن هذا الشعور التحرري والرغبة في إنهاء المظالم الواقعة عليهم، له صلة بمجريات إقليمية من جهة، وبسبب التواصل الثقافي والإيمان ببعض شعارات تلك الفترة التي قدمت من قبل رئيس الولايات المتحدة وودرو ويلسون للكونغرس الأمريكي في 8 يناير 1918، وكان من ضمنها حق تقرير المصير للشعوب. لقد وجد هذا المبدا صداه

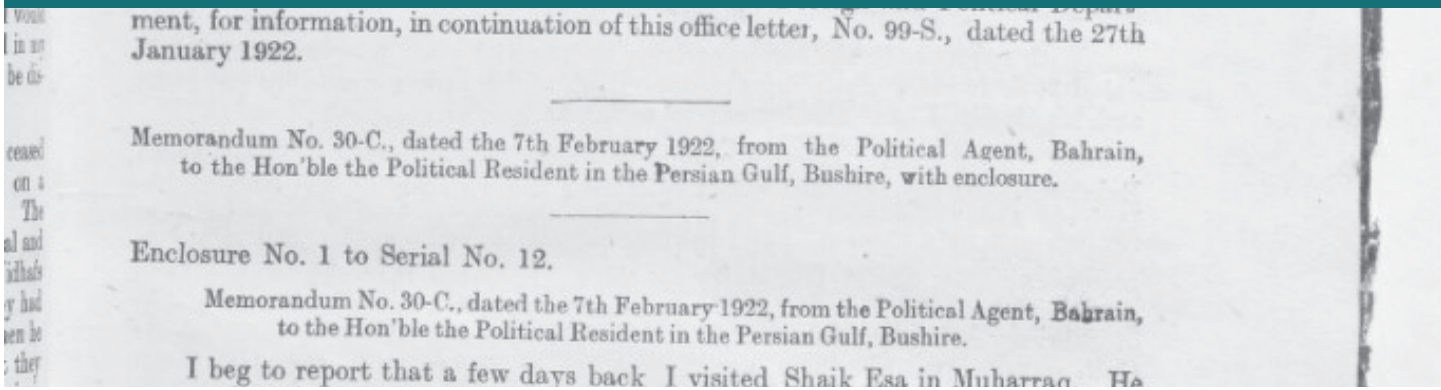

ment, for information, in continuation of this office letter, No. 99-S., dated the 27th January 1922.

Memorandum No. 30-C., dated the 7th February 1922, from the Political Agent, Bahrain, to the Hon'ble the Political Resident in the Persian Gulf, Bushire, with enclosure.

Enclosure No. 1 to Serial No. 12.

Memorandum No. 30-C., dated the 7th February 1922, from the Political Agent, Bahrain, to the Hon'ble the Political Resident in the Persian Gulf, Bushire.

I beg to report that a few days back I visited Shaik Esa in Muharraq. He

الواسع ليس لدى البحارنة وحدهم بل إن الحاكم الشيخ عيسى بن علي ال خليفة استعان به وحاول توظيفه في مقاومته لفرض الإصلاحات الإدارية.

وخلال الفترة ما بين عامي 1919 - 1923 تصاعدت رغبة بريطانيا في تنحية عيسى بن علي ال خليفة الذي حكم البحرين من 1869 إلى 1923، باعتباره رجلا طاعنا في السن وإداراته الداخلية أخذت تسوء بشكل لا يحتمل.

وفي رسالة المقيم تريفور لوزير خارجية حكومة الهند المؤرخة ب 6 يناير 1922 نجده يستعير وصف الميجر ديلي للشيخ عيسى بن علي ال خليفة، ويوافق عليه عندما يصفه بأنه « مصاب تماما بالخرف وخاضع بالكامل لزوجته بحيث لا يمكنه فعل أي شيء بهذا الخصوص[10]». يذكر الميجر ديلي في تقرير كتب في نوفمبر 1921 قبيل زيارة المقيم تريفور أن « مستوى الظلم في السنتَين الأخيرتَين أصبح بمستوى الإرهاب، وقد تبين أنها سياسة مقصودة ينتهجها الشيخ عبد الله ؛ النجل الأصغر للحاكم الشيخ عيسى بن علي للحفاظ على الهيمنة الكاملة[11]» كما يشير في المذكرة نفسها إلى انه يتلقى « دائما اتصالات من قادة جماعات» البحارنة» يطلبون مني مناشدة الحكومة للتخفيف من حدة الوضع قليلا[12]».. ويعود سبب تلك المطالبة المتكررة إلى الإدارة السئية للحاكم وعائلته، وشيوع المظالم الكثيرة تجاه البحارنة من قبل الشيخ الحاكم وأفراد أسرته ومن بعض القبائل المتحالفة معهم.

العرائض الأولى المفقودة برغم دقة المسؤولين البريطانيين وحرصهم على توثيق الأمور كافة والعناية بأرشفة كل ما يقع تحت أيدهم، إلا أن ثمة جوانب أرشيفية لم تعامل كذلك لأسباب موضوعية تارة، ولاسباب سياسية تارة أخرى. وتعتبر عرائض البحارنة المفقودة مثالا جيدا على حدوث نقص في مخزون تلك الارشفة. والمقصود بالعرائض المفقودة هي العرائض التي كتبها مجموعة من البحارنة وجرى تسليمها للوكيل السياسي البريطاني في البحرين، أو إنها رفعت للمقيم السياسي في الخليج ، الذي يقيم في ابو شهر. وتشير تقارير الوكيل السياسي الميجر ديلي إلى وجود العديد من هذه الشكاوي، والعرائض التي رفعها البحارنة بصيغة شكاوي محددة، أو عرائض تحمل تواقيع مجموعات من البحارنة، للمطالبة بتغييرات هيكلية في النظام السياسي، لكن لم نجدها بصيغها الاصلية. يذكرالمقيم البريطاني ترايفور انه تسلم عريضة من أعيان البحارنة، عندما زار البحرين في نهاية ديسمبر1921، حيث احتشد أكثر من 1500 شخص أمام مبنى الوكالة البريطانية، وسلموه عريضة مترجمة، ولكن لم ترفق بالاصل، أو ما زال

مفقودا. كما يذكر الميجر ديلي أنه لجأ إلى ترجمة بعض العرائض خوفا على الموقعين أو الشاكين وحسب، من ملاحقة حاشية الشيخ عبدالله واتباع[13]. فعلى سبيل المثال، تعرض أحد البحارنة، ويدعي علي بن ابراهيم من قرية توبلي للملاحقة والسجن تحت ذرائع مختلقة عليه وبمكائد سياسية؛ لأنه كان من الموقعين على عريضة مطالب، رفعت للمقيم السياسي أثناء زيارته البحرين في ديسمبر 1921 ، وتوالت التقارير بعد ذلك لتشير إلى أن أتباع الشيخ عبدالله وجماعته يلاحقون بعض الموقعين، الذين فضلوا طلب اللجوء للوكالة البريطانية[14]. وبرغم ذلك فإن عريضة أخرى رفعت للوكيل السياسي الميجر ديلي، بقيت ترجمتها وحسب، وعدد الموقعين عليها 64 شخصا، ويقول ديلي أنه اضطر إلى ترجمتها في مكتبه خوفا على الاشخاص الذين وقعوها. ويبدو أن هذه العرائض قد كثرت قبيل إعطاء الوكيل صلاحية منح الحماية البريطانية لبعض هؤلاء، خصوصا الذين يتعرضون للملاحقة والمكائد السياسية والقانونية، وسنذكر هنا نموذجين من تلك العرائض المفقودة،على أمل أن تكون هناك فرصة للحصول علي النصوص الاصلية للعرائض.

العريضة الاولى كتبت أثناء زيارة المقيم البريطاني تريفور للبحرين في 31 ديسمبر 1921، حيث التقى وفداً من البحارنة سلموه وثيقة يشكون فيها تصرفات عيسى بن علي، وشرحوا له حادثة تعرض أحد البحارنة للضرب حتى اوشك أن يموت وجرى تهديده بالقتل، في حال كشف المعتدي عليه، وهو الشيخ خالد. أما ترجمة الوثيقة التي وثقها تريفور فهي: ولذلك انتشر الحديث عن عدالة تلك الحكومة. وقد فاقت عدالتها عدالة أنشروان. ولقد شاهد الناس عدالة الملكة الراحلة فيكتوريا، التي تقيم العدالة للمظلوم حتى على نفسها. وبعدها جاء الملك الكبير ادوارد وبعده الملك الحالي جورج الذي انتشرت عدالته في كل العالم .

الحمد لله الذي جعل الملوك ملاذ اللاجئين والعاجزين في أوقات الشدائد، وجعلهم ملاذا لمن لا حول لهم ولا قوة في أوقات الشدة، الذي جعل عدلهم سببا للبركة. إذا ما تصرف أحد الملوك بوحشية، فإن الزمن يتغير وينبغي لأي إنسان حكيم أن يأخذ العبر من سلوك سلفه. انظر إلى الفراعنة الذين لم يبق لهم أثر، وانظر للعدالة كيف تستمر وتبقى. إن الحكومة البريطانية مثلا لم تخسر اسمها وسمعتها. ولقد منّ الله على المخلوقات بتقوية هذه الحكومة،على أن تسود عدالة الحكومة؛ إذ إن عدالتها فاقت عدالة أنوشيروان Anawsherawan. لقد عايش الناس عدالة الملكة الڤكتورية السابقة التي قد تحكم بالعدل لمصلحة مظلوم حتّى لو على حساب مصلحتها من أجل حماية مصالح مواطنيها وسمعتها. وبعد الملكة أتى الملك إدوارد Edward ، وبعده الملك الحالي جورج George، الذي سادت عدالته جميع العالم.

ثانيا، نود أن نقول لصاحب الحكمة الكبيرة والمزاج الطيب رئيس الخليج: إن الطائفة الشيعية تعيش حالة إذلال كبير وتتعرض لمجازر علنية. وليس لهم ملجأ ولا تقبل شهادة أحد منهم، وممتلكاتهم معرضة للنهب وهم معرضون لسوء المعاملة في كل لحظة، والظلم يزداد كل يوم. وإذا أردنا أن نحصي المظالم، نستطيع ذلك ولكن مراعاة لاحترام الرئيس لا نفعل ذلك، ولكن نشير إلى واحد من ألف منها لا شكّ في أن الحكومة مسؤولة أمام الله عن إراقة دمائنا، وعن الظلم الذي نتعرض له؛ لأنها قادرة على مساعدة الضعيف والفقير وإنقاذنا من أيدي الظالمين. ولذا نقول:

انقدنا يا رئيس قبل أن نفنى. ولذلك فقد اجتمع سكان القرى هذا اليوم ليأتوا ويلجأوا إليك، ولكن نصيحة الرجلين الطيبين؛ محمد شريف والحاج عبد النبي منعتهم من ذلك، ورفض الأعيان وأصروا على مقابلة سموكم. إننا نتقدم إليك باسم الله أن تساعدنا وإذا لم تعطنا حقوقنا ولم تساعدنا، فإنك تساعد الظالمين على الاستمرار في ظلمهم. فقد نفد صبرنا وطاقتنا، وإذا تركنا هذا الملجأ ولم يساعدنا الرئيس فإننا سنواجه الموت، وستكون مسؤولا أمام الله.

هذه العريضة هي من شيعة البحرين جميعهم، ومن مضمون هذه العريضة نجد أن مطلب البحارنة، كان مطلبا أمنيا ووطنيا، وهو يتمثل في رفع المظالم عنهم ومعاملتهم كمواطنين، بدلا من حالة الإذلال التي كانوا عليها. وتظهر العريضة مقدار الوعي والمحاججة التي بُنيت عليها العريضة ،وهي أن الشيخ وحكومته يتمتعان بالحماية البريطانية، وهو ما يزيد حالة الاستبداد الداخلي وهذا يقتضى بمطالبة بريطانيا بتحمل مسؤليتها السياسة والأخلاقية تجاه البحارنة.تضيف التقارير البريطانية أن الشيخ عيسى بن علي حاول بعد ذلك الحصول على عريضة مضادة، لما احتوته العريضة المشار إليها، إلا أنه فشل في الحصول على أي توقيع، ونتيجة لذلك تعرض بعض الاشخاص للمكائد السياسية والملاحقات، كما أشيعت حالة من الاضطراب الأمني من خلال إطلاق النار على بعض رجال الشرطة.

العريضة الثانية، في 24 يناير كتب ديلي مذكرة أوضح فيها أنه تسلم عريضة جديدة موقعة من شخصيات شيعية» 64 شخصا يسألونه فيها عن مصيرعريضتهم الأولى، وقال: « قمت بترجمتها وإرفاقها هنا؛ لأنني اعتقدت أنه من الأفضل عدم ترجمتها في مكتبي خوفا من اضطهاد محتمل لأصحاب التواقيع، إذا ما جرى الكشف عن أسمائهم» إلى الوكيل السياسي، تحية وبعد.

منذ فترة قصيرة تواصلنا معك ومع المقيم السياسي، شفهيًّا أو خطيًّا وأبلغناكما عن حالنا، أرسلنا أيضا عريضة إلى «بوشهر» إلى فخامة المقيم السياسي، ولكن لم تردنا بعد أي نتيجة، من شأنها أن تهدئ من مخاوفنا وتحدّ من ظلم الحكام واستبدادهم.

وبرغم كل حالات الظلم التي تمارسها عائلة آل خليفة، إلا أنّهم ليسوا كلهم سواء؛ قبل أن يتسلّم الشيخ عبدالله زمام الحكم كان الظلم سائدا، ولكن عند تسلّمه السلطة رسميًّا، بات الاستبداد يمارَس إلى درجة المساس بأعراضنا، ما يشير إلى الأمان الذي افتقدته النساء، حتى إن الفتيات أصبحن يؤخذن من بيوتهن بالقوة، وكان يمتنع والد الفتاة أو والدتها عن التكلم عن ذلك بسبب الخوف. والآن فإ ن الشيخ عبد الله ليس في السلطة رسميًّا ولكنه يتابع في الكواليس العمل بصلاحياته السابقة، وبوتيرة أكثر ولا تتوقف محاولاته. والسبب في ذلك يعود إلى أن والده هو الشيخ عيسى ووالدته مثله تساعده في أفعاله، والشيخ عيسى هو حتى اليوم، ليس سوى ألعوبة في أيدي عبد الله إذ إنه يساعده في كل ما يريده. نرجو منك إنقاذنا من استبداد وظلم الشيخ عبدالله، ونسألكم باسم المسيح إنقاذنا في أسرع وقت ممكن من أيدي هذا المستبد، إذ نفد صبرنا ولم نعد قادرين على التحمّل. أنت مسؤول أمام الله في ما يخص صلاح أمرنا.

وقّع العريضة 64 شخصا يمثلون الشعب البحراني[15].

كان واضحا في كلتا العريضتين أن البحارنة استهدفوا حماية أنفسهم، ورفع المظالم عنهم. وتثير هذه المسألة قضية

فقدان البحارنة لأي قنوات عادلة أو محايدة تربطهم بمؤسسة الحكم؛ فالوزراء والأمراء الذين يُعيّنون تحولوا إلى جباة ضرائب وأدوات لتنفيذ مطالب شيوخ المقطاعات، ولم يعد بإمكانهم حماية الناس، أو رفع الأذى عنهم. ويبدو أن تلك العرائض حثّت المسؤولين البريطانيين؛المقيم السياسي على تبني مطالب البحارنة، لكونها مطالب عادلة من جهة، وأن ترفع بريطانيا حمايتها عن الشيخ ليتخذ البحارنة ما يرونه مناسبا لهم من جهة أخرى. وهذا يظهر في اجتماع الميجر ديلي مع كلا من الشيخ عيسى بن علي الحاكم ونجله الشيخ عبدالله، بعد رسالة وزير خارجية حكومة الهند إلى المقيم تريفور خطابا ردا على رسالته في 30 يناير 1922 إذ كتب ذلك الخطاب على جملة أمور أهمها: اليه بتاريخ 13 يناير ،1922 واحتوى حث حكومة لندن على:

أنه ينتظر رد تفاصيل الموضوع والإجراءات المقترحة، للأفراد يجب أن يكون.

إن منح الحماية محدود كي لا يساء فهمه.

أنه يمكن استخدام القوة في حالة إهانة طالبي الحماية البريطانية.

أنه سيقوم بزيارة للبحرين لتقوية ومساندة موقع المقيم، لفرض نفسه على الشيخ الحاكم وعائلته.

ينبغي تحذير الشيخ بأنه معرض لخطر كبير من مواطنيه وينبغي له بوضوح فهم أنه سيصعب على الحكومة منحه أي دعم، إذا ما أدى فساد حكمه إلى حدوث ثورة.

الإيحاء للشيخ عبدالله بضرورة تحسين سلوكه بعد عودته من الحج، وإلا فسيواجه مصير ابن عمه علي بن أحمد سنة 1905.

التأكيد للشيخ حمد أن تسلمه ولاية العهد مرتبط بأدائه الجيد ونجاحه في إدارة الامور.

في 13 فبراير 1922 كتب ديلي مذكرة طويلة، ضمنها اقتراحه في زيارة تريفور المقررة للبحرين، وهو أن تكون الزيارة أكثر من يوم، وأن تكون واضحة و«أن يفهَم أنكم جئتم لسبب محدد،هو إيصال التحذير» وأشار تاليا إلى أنّ البحارنة «نظّموا مظاهرة ضخمة قبل أيام عدة، وأغلقوا السوق، وحرروا بالقوة من قبضة أحد الفداوية رجلا كان قد تعرض لسوء معاملة. فألقى هذا العمل الرعب في نفوس الشيوخ، ما دفع الشيخ عيسى إلى إرسال الشيخ حمد ليسألني عن كيفية التعامل مع هذا الوضع. رفضت التدخل رسميًا، ولكن على نحو غير رسمي، قلت لحمد: إنه ليس من الحكمة استخدام المزيد من القوة للسيطرة على الوضع، وإنه ينبغي لهم محاولة إيجاد وسائل لتهدئة الناس. وكانت النتيجة أنه طلب من القصيبي ويوسف كانو ومحمد شريف الذهاب مع بعض الممثلين عن البحرانيين لمقابلة الشيوخ.

وكان للبحرانيين مطالب عد ة استجاب لها الشيخ عيسى، بعد تأخر دام حوالى يومين، وبعد اجتماع لعائلة آل خليفة، باستثناء طلب واحد يتعلق بفرض ضريبة دينية على الطائفة الشيعية. في البداية، أجرى الشيخ عدة تعديلات تافهة على الشروط، وكان هدفه الوحيد من وراء ذلك الحفاظ على ماء وجهه، فظهر كأنه لا يفسح المجال أمام البحرانيين، ولكن في النهاية حصلت التغييرات.

أتفهم أن البحرانيين قد طالبوا بالنقاط التالية التي جرى الاعتراف بها، أما مسألة تنفيذها أوعدمه فهي أمرآخر.

1. لا يحق لأحد، باستثناء الحاكم والشيخ حمد، أن يبتّ القضايا أو أن يعاقب الآخرين بأيّ شكل من الأشكال.
2. يرجئ الشيخ حمد القضايا التي لا يستطيع بتّها على نحو يرضي فيه كلا الطرفين إلى مجلس الشريعة العرفي، أو السالفة، حسب نوع القضية.
3. يجري جرّ الشخص الذي سيخضع للمحاكمة إلى محكمة الحكام، من دون سابق إنذار، على أن يجري ذلك بتوقيع من الشيخ حمد.
4. تحرَّر الوثائق المتعلقة بالحدائق المؤجّرة لرعايا العائلة الحاكمة بنسختين، ويتسلّم كلّ طرف نسخة، ويشهد عليها شهود مستقلون. ولا يُنفّذ أي شرط غير ما ورد في هذه الوثائق.
5. يجب اتخاذ خطوات تهدف إلى منع جمال الشيوخ من دخول الحدائق الخاصة والرعي فيها.
6. توقف «سخرة» الحمير.
7. إيقاف الممارسات التي تهدف إلى وضع عجول العائلة الحاكمة مع بقر الرعايا البحرانيين بغية تسمينها مجانا.
8. تنظيم السجون بشكل ملائم وكذلك تأمين مبنى مناسب للغاية نفسها.

ويذكر أن الشيخ عبدالله كان متعاونا في منح البحرانيين هذه الامتيازات.

إذا كان ما ورد حقيقيًّا، فقد يكون دليلا على أنه ينوي فتح صفحة جديدة. وإذا كان ذلك صحيحا فهو خير، ولكنها تعد اليوم خطوة متأخرة، وأعتقد أنه سيقوم بهذا الأمر؛ لأنه يظن أن بعض الاجراءات ستتخذ ضده. وفي حال استعان بكم البحرانيون مرة أخرى، ينبغي عندئذ أن نكون في موقع، يخولنا القول إنهم قد تمكنوا من الحصول على بعض التحسينات، ويجب منحهم حق المحاولة. وإن تحذير حضرتكم للشيخ، يوضح له على نحو مضاعف أن عليه اتخاذ موقف أفضل تجاه رعاياه في المستقبل[16]» هذا التقرير الذي كتبه ديلي وأورد فيه مطالب البحارنة، يبدو غامضا من حيث كونه عريضة تقدم بها البحارنة، أو هي خلاصة المفاوضات التي حدثت بين البحارنة والشيخ عيسى بن علي وابنيه حمد وعبدالله.المؤكد هنا أنه وعبر هذه السلسلة من العرائض والاعتصامات والمظاهرات استطاع البحارنة أن يخففوا بعض الظلم الواقع عليهم، لكنهم ظلوا مبعدين في الوقت نفسه عن المؤسسات الإدارية والسياسية، التي سوف تنشأ لاحقا وهو ما سيعيد كرة الممارسات السياسية مرة أخرى.

*باحث بحريني

المصادر والمراجع:

1 - بول ريكور، الذاكرة، التاريخ، النسيان، ترجمة وتقديم وتعليق جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد، 2009 .ص 319

2 - الوكيل البريطاني المعتمد كان يأتي تحت المقيم السياسي البريطاني في الخليج، ومقره في بوشهر، والمقيم السياسي، كان يأتي تحت حكومة الهند البريطانية، وحكومة الهند كانت تأتي تحت الحكومة البريطانية في لندن.

في القرن التاسع عشر الميلادي كان الوكيل المعتمد شخصا من الهند، يعيش في البحرين، او أحد الأشخاص المحليين. اما في القرن العشرين بعد عام – 1900 فقد –

قررت بريطانيا اعتماد بريطانيين دون غيرهم للوكالة.

انظر -James Onley :The Arablan Frontler Of the

.12-Britsh ,Oxford Unlverslty Peese, 2007,pp10

3 - استبداد شيخ البحرين وعائلته بالمواطنين البحرينيين: رسالة المقدم أي. پي. تريفور، المقيم السياسي في الخليج الفارسي إلى دي.

دو أس. براي، وزير خارجية حكومة الهند، بتاريخ 6 كانون الثاني/ يناير 1922.

4 - نقرأ في مذكرة الميجر ديلي المؤرخة في 7 مارس 1922 أن الحاكم استعان ببعض القبائل السنية لإرهاب الشيعة عندما راح الوضع يزداد اضطرابا. قبيلة الدواسر وترحيلها من البحرين» و

7 \ 340 \ 18 (المكتبة البريطانية: أوراق خاصة وسجلات من مكتب الهند) 87/2/IOR/R/15)

5 - عباس المرشد، البحرين في دليل الخليج، دار فراديس للنشر والتوزيع، بيروت 2011 ، ص 275

6 - حول الهبات وورثة العائلة الحاكمة انظر: ملف 9 / 3 الإصلاحات في البحرين. تسجيل الأراضي وسجل الحقوق» و9 (34 / 225)

المكتبة البريطانية: أوراق خاصة وسجلات من مكتب الهند (130/2/IOR/R/15)

7 - البحرين في دليل الخليج.

8 - فؤاد اسحاق الخوري، القبيلة والدولة في البحرين، معهد الانماء العربي، 1983، ص 47 .

9 - ملف A/18 المجلس الع رفي: مراسلات بخصوص تكوينه، ومراسلات ذات الصلة بخصوص الولاية القضائية» و4 (128 / 7) والمكتبة البريطانية: أوراق خاصة وسجلات من مكتب الهند (12/2/IOR/R/15)

10 ملف 9 / 4 إصلاحات البحرين. تطبيق الإصلاحات في البحرين» و4 (224 / 24 المكتبة البريطانية: (أوراق خاصة وسجلات من مكتب الهند) 131/2/IOR/R/15 (وقد أخذت مراسلات هذا الملف عنوانا مناسبا ومعبرا «) Tyranny of the Shaikh of Bahrain and his family over Bahrain subjects »

11 - سنعتمد هنا في كل الإحالات الأرشيفية على تقارير الميجر ديلي والمقيم ترايفور المدون في الارشيف البريطاني تحت ملف 9 / 4 .
إصلاحات البحرين. تطبيق الإصلاحات في البحرين» و 2 224 / 20 (المكتبة البريطانية: أوراق خاصة وسجلات من مكتب الهند)
131/2/IOR/R/15 (معظم الخطابات الواردة في المجلد هي عبارة عن نسخ مطبوعة من المراسلات التي أرسلها في الأصل المقيم السياسي في الخليج العربي المقدم آرثر تريفور أو القائم بأعمال المقيم البريطاني المقدم ستيوارت نوكس) أو (الوكيل السياسي بالبحرين)الرائد كلايف دالي، إلى حكومة الهند. والكثير من أصول المراسلات الواردة في المجلد ، أو نسخ مكتبية منها موجودة في عد د من الملفات في السلسلتين الفرعيتين لوكالة البحرين «ملف 9 الإصلاحات في البحرين» 138-127/2/IOR/R/15)
و»ملف 8 متنوعات» 126-121/2/IOR/R/15
والسلاسل الفرعية لمقيمية بوشهر «ملف 19 البحرين» 77-314/1/IOR/R/15 .
-12 ملف 9 / 4 إصلاحات البحرين. تطبيق الإصلاحات في البحرين 131/2/IOR/R/15 .
13 - ملف 9 / 4 إصلاحات البحرين.تطبيق الإصلاحات في البحرين» ظو (224 / 19) والمكتبة البريطانية: أوراق خاصة وسجلات من مكتب الهند. (131/2/IOR/R/15)
14 - ملف 9 / 4 إصلاحات البحرين. تطبيق الإصلاحات في البحرين» و 7 (224 / 30 والمكتبة البريطانية:أوراق خاصة وسجلات من مكتب الهند (131/2/IOR/R/15).
15 - ملف 9 / 4 إصلاحات البحرين. تطبيق الإصلاحات في البحرين» و 8 (224 / 32)والمكتبة البريطانية: أوراق خاصة وسجلات من مكتب الهند 131/2/IOR/R/15 .
16 - «ملف 9 / 4 إصلاحات البحرين. تطبيق الإصلاحات في البحرين « و 9 (224 / 34) المكتبة البريطانية: أوراق خاصة وسجلاتمن مكتب الهند(13/2/IOR/R/15)

ديوان الذاكرة

المديرة التنفيذية لأرشيف "السفير" اللبنانية: مليون ونصف قصاصة صحافية مفهرسة

حسن زراقط*

الأرشيف، أو بالإنكليزية Archive، هو «مكان لحفظ الملفَّات والسِّجلات والوثائق أو أيَّة موادٍ لها أهمية تاريخيّة»، بحسب تعريف «معجم المعاني الجامع»[1]. والأرشيف هو «الأثر الوثائقي للنشاط البشري»، هكذا يعِّرفه «المجلس الدولي للأرشيف»[2]. ومن هنا، ونظرًا إلى أهمية الأَرشفة ومراكز المعلومات ودورها في رفد الإنسان بالمعلومات التي يحتاجها، أعدَّ «مركز أوال للدراسات والتوثيق» نشرة بعنوان «أرشيفو» تهتم بقضايا الأرشيف وطرق حفظه وتتضمن مقابلات مع العاملين في أقسام الأرشفة والفهرسة في صحف ومراكز معلومات لبنانية وعربية للتعريف بها وعرض تجربتها والتحديات والصعوبات والإنجازات في عملها. كما تُعرِّف النشرة بالمدونات والمواقع الإلكترونية المهتمة بالوثائق والأرشيف.

لصحيفة «السفير» اللبنانية عمل متراكم في الأرشيف تعود بدايته إلى يوم تأسست الصحيفة في 26 آذار/مارس من العام 1974 حينما تكونت نواته. يرفد أرشيف الصحيفة العاملين فيها من محررين وكتّاب بالمعلومات والصور، كما يرفد بها مراكز معلومات وأبحاث أخرى في لبنان. وتتولى تحديد الأسس والخطط والبرامج والتقنيات التي يقوم عليها القسم، الذي يتضمن قسمين: الأرشفة والفهرسة للنصوص والصور، تتولاه مديرة القسم ربيعة سلمان، ويشرف على تنفيذ الخطط المديرة التنفيذية في القسم زينب سلمان التي تحدثنا عن ضرورة تطوير العامل في هذا القسم لنفسه ومتابعة التقنيات والاستفادة منها. وتكشف سلمان أن أرشيف «السفير» أصبح «أون لاين» منذ تشرين الأول/أكتوبر من العام الماضي.

مليون ونصف قصاصة مفهرسة

بدأ أرشيف «السفير» مع العمل الروتيني الورقي، تقول سلمان. فـ«اشترى رئيس تحرير «السفير» طلال سلمان أرشيفا

قديما من خمسينات وستينات وسبعينات القرن الماضي كي تكون هناك استمرارية للعمل ومادةً قديمة».

توضح سلمان «بدأنا العمل بطريقة بدائية من خلال اختيار الأخبار ولصقها وفرزها في ملفات، كي نستطيع استرجاع المادة بطريقة سهلة لأنه لم تكن موجودة في ذلك الوقت تقنيات حديثة أو إنترنت، أي كنا نعتمد على الذاكرة أكثر ونعتمد على تقسيمات نخصصها للبلد من أجل تسريع العمل».

وتشير سلمان إلى أن هناك 13 موظفا في القسم، نسألها «أي أكثر من العدد الذي نتخيله عادة عن قسم الأرشيف؟»، فتجيب «لا، فالعمل اختلف كليا مع دخول التكنولوجيا. لدينا موظفون يجرون فهرسة للصحيفة بحسب رأس الموضوع والتأريخ والكاتب أو الكتب أو النص أو كلمة في النص. وهناك أيضا موظفون يعملون على «المكنز»، (وهو «الأداة التي يَعتمد عليها الباحث أو المستفيد من النظام من أجل استرجاع المعلومات»[3]، حتى إذا أراد أي باحث إيجاد رأس موضوع أو تأريخ أو كلمة ليصل عبرها إلى الخبر يدخل إلى «المكنز» ويختار الكلمة المستعملة ليسترجع المادة المطلوبة. كما أننا نعمل فهرسة للصور».

تلفت سلمان إلى أن عمل الفهرسة «يتمّ عبر أخذ مادة من الصحف المحلية والعربية والدولية كافة ونفهرسها وندخلها إلى البرنامج، يعني ننشىء لها ربطا مع البرنامج». بحسب سلمان، فإن مادة «السفير» منذ العام 1974 «مفهرسة وتمّ إدخالها في البرنامج ومرتبطة بـ«المكنز». وكذلك فإن مادة القصاصات الصحافية مفهرسة وعددها نحو مليون ونصف قصاصة صحافية من مصادر متعددة وتمّ إدخالها أيضا إلى البرنامج وفهرستها، وتستطيع استرجاع أي موضوع من المصادر كافة». أما الصور، «فتمت فهرسة 40 في المئة من مجملها وبقي 60 في المئة تنتظر المسح (scan) ومن ثم الفهرسة».

طريقة العمل ..عمل مضنٍ وتحدّ كبير

يتطلب العمل في قسم التوثيق والفهرسة دقة، تقول سلمان. «فعندما يقوم الموظفون بالتوثيق فإنهم يعتمدون الأسس العلمية المعتمدة، سواء كانت هنا أو في الجامعة العربية والأمم المتحدة. هي أسس علمية معتمدة لا يقدرون على الابتعاد عنها. أما الباحث من خارج الصحيفة الذي لا يعرف المصطلحات التي نستخدمها فباستطاعته أن يستخدم أي مصطلح ليسترجع المادة. ويستطيع أن يجري بحثا في النص، إذ إن هناك فترات زمنية يستخدمها للبحث فيه، فيستطيع استخدام المصطلح الشعبي المعروف، مثل «داعش».

تشرح سلمان «نحن عندما نفهرس عن «داعش» نستخدم مصطلح الدولة الإسلامية في العراق والشام، لكن المصطلح المتعارف عليه هو «داعش»، فيقدر من يبحث في النص استخدام كلمة «داعش» أو أي رأس موضوع يخطر على باله كي يسترجع المادة بواسطة البحث الحر الموجود في برنامجنا ليسترجعها». في هذا السياق، تذكّر بأن المواقع مثل «غوغل» «لا تحتوي على مادة من السبعينات، يحتوي فقط على مادة حديثة ابتداء من التسعينات وهي ليست دقيقة كثيرا. وكل شيء تستطيع الإضافة عليه أو الحذف منه يصبح هناك فيه شكا، مثل موسوعة «ويكيبيديا». إذ توجد معلومات منشورة على المواقع غير صحيحة. عندنا في «السفير» الخبر موثّق بالتأريخ والمصدر ما يعني أن هذا الخبر صحيح. إذا لم يكن هناك خبر موثق بصحة ويجري تحريره فيمكن لأي كان أن يعدّل في الخبر».

«إذاً، هل تضعون كل هذه الكلمات ليصل الباحث إلى الباقي؟»، تردّ سلمان : « يمكن لأي كان أن يعتمد الأسس العلمية نفسها في استخدام المصطلحات ذاتها. لنفترض مصطلح الانتخابات الأميركية، نحن ربما اعتمدنا مصطلح الانتخابات الرئاسية الأميركية، أنت تكتب الانتخابات الأميركية فيدُلك «المكنز» على أن هذا المصطلح ليس هو المعتمد لدينا».

الأرشيف «أون لاين»

وتعود سلمان لتقول إن أرشيف «السفير» أصبح «أون لاين»، وهذا يعني إذا كنت تجري بحثا في «السفير» عن «الاتفاقات الأمنية» أو «الوفاق» أو أي شيء في الصحيفة نُشر منذ العام 1974 إلى اليوم يمكنك إيجاده. كل ما عليك فعله أن تعمل اشتراكا بالخبر المطلوب في أرشيف «السفير» الموجود «أون لاين». وتوضّح «الإشتراك يتمّ على فترة زمنية محددة وبسعر محدد، ويعود تحديد الأسعار إلى مديرة قسم الأرشيف في «السفير» ربيعة سلمان وهي تضع خططا لعام أو عامين بهدف إنجاز العمل المتراكم وإنجاز خطط جديدة في العمل، ونحن من ينفِّذ هذه الخطط وأنا المشرفة على ذلك».

وبشأن وجود تعاون بين «السفير» وبين مراكز أخرى في مجال الأرشيف، تقول سلمان : «نحن نتعاون مع مراكز الأبحاث الأخرى، نتبادل رؤوس المواضيع التي نستخدمها ونتبادل المعلومات. وطبعاً في حال كل تطوّر جديد في التقنيات والفهرسة والتوثيق، لدينا تواصل دائم معهم، لكن ليس لدينا مشروع مشترك مع أي مركز للمعلومات. وأعرف المراكز المتخصصة بالأرشيف والمعلومات في لبنان ولكن لا توجد مشاريع مشتركة».

عندما يقوم الموظفون بالتوثيق فإنهم يعتمدون الأسس العلمية المعتمدة، سواء كانت هنا أو في الجامعة العربية والأمم المتحدة. هي أسس علمية معتمدة لا يقدرون على الابتعاد عنها.

تعاون وتبادل مع مؤسسات مختلفة

تعطي سلمان مثلا عن التعاون مع مجموعة «أمم» التي تتولى عملا «كلفتها به الأمم المتحدة لتنشىء تنظيما معيّنا في الضاحية الجنوبية لبيروت مضادا لـ«حزب الله»، لكن المشروع لم ينجح. وتستخدم «أمم» مادتنا في الأرشيف والتوثيق والصور، إنهم يتعاونون معنا في شراء المادة، لأنه في نهاية المطاف نحن نبيع مادة». كما «يأخذ «مركز دراسات الوحدة العربية» مادة « السفير» وكذلك يفعل كل من «المركز الإستشاري للدراسات والتوثيق» التابع لـ«حزب الله» و«مؤسسة الدراسات الفلسطينية». تصف سلمان التعاون مع هذه المراكز الثلاث بأنه «لطيف وممتاز ودائم». أما «علاقتنا بقسم الأرشيف في صحيفة «النهار» اللبنانية فهي علاقة مهنية فحسب، يعني تبادل أخبار وتعاون على ذلك». ف«النهار» لا تحتاج إلى أكثر من هذا المستوى من التعاون فهي صحيفة عمرها يعود إلى ثلاثينات القرن الماضي، فإذا أرادت أن تعمل فهرسة منذ الثلاثينات إلى اليوم فستحتاج إلى 50 سنة إضافية. أما عمر «السفير» فهو صغير من العام 1974 فقدرنا على فهرستها».

وتلفت إلى أن في «السفير» قسم انتاج «فنحن نصدر نشرة معلومات من مادة الصحيفة منذ العام 2003، نشرة ورقية وإلكترونية، يتغيّر موضوعها كل شهر».

نسأل سلمان عما إذا استفادت «السفير» من تجارب أخرى في مجال الأرشيف، فتؤكد «نظّمنا ندوات شاركت فيها كل مراكز الأبحاث وكانت المراكز الأخرى تنظم ندوات وكنا نشارك فيها ونستفيد من خبرتها. تعاونا كثيرا مع الأساتذة في الجامعة اللبنانية المتخصصين بالتوثيق أمثال كلود اسطفان، حسانة محيي الدين، عماد بشير، وكل من عمل في التوثيق والفهرسة ساعدنا وأعطانا الأسس العلمية الصحيحة التي نعتمد عليها».

وتضيف سلمان : «ثلاثة أرباع موظفينا هم خريجو الجامعة اللبنانية في اختصاص التوثيق والإعلام، كلهم ساعدونا إلى أن توصلنا إلى العمل بشكل صحيح. وكذلك أساتذة الجامعة الأميركية إحداهن ساعدتنا في إنشاء «المكنز» وأيضا ساعدنا العاملون في المكتبات مثل عايدة نعمان التي تعمل في مكتبة الجامعة اللبنانية ـ الأميركية (LAU) عن كيفية العمل في المكتبات، فنحن في «السفير» لدينا مكتبة غير متخصصة. نحن منفتحون على كل الأطراف».

البداية ورحلة العمل مع التكنولوجيا

تعمل سلمان في «السفير» منذ 25 عاما، تعود إلى البدايات التي تمت «بخطوة بدائية اتبعتْها كل مراكز الأبحاث، بدأنا العمل في غرفة صغيرة تحوي «ستاندات» وملفات تمّ تقسيمها إلى تلك المتعلقة بلبنان والعالم العربي، والدوليات حسب الدول وتُعمل لها فهرسة بدائية. أنشأنا نظاما خاصا بنا «من الواحد إلى العشرة»، تاريخ البلد ومؤسساته نجري فزرا لها كي نعطي مادة لقسم التحرير أو للناس بطريقة سريعة».

كانت قفزة نوعية في التسعينات كما تراها سلمان، حينذاك «بدأت تظهر معالم التكنولوجيا. بدأنا بفهرسة مادتنا قليلا قليلا، فهرسنا مليون ونصف قصاصة، وهذا ما لا يستطيع أحد إنجازه. استعنّا بأشخاص من خارج الصحيفة لمساعدتنا لأننا لا نستطيع أن نفهرسها كلها لوحدنا، وكل المادة التي كانت لدينا أرسلناها إلى خارج الصحيفة لنجري لها «سْكان»، ودفع الأستاذ طلال سلمان مبالغ كبيرة كي نفهرس المادة، أي كل الصحيفة».

وتضيف سلمان : «بدأنا بالتدريج، إذ استلمنا أول برنامج لم يكن متطوراً كثيرا من سامي منسّى (المدير التنفيذي لـ»بيت المستقبل» اللبناني). لكنه كان البرنامج الوحيد المتوفر في البلد، ثم استلمنا برنامجا آخر، ثم استغنينا عن هذا البرنامج وجلبنا برنامج «أي دي أس» الذي نتعامل به حاليا وهو سريع في العمل. يهمنا كثيرا استرجاع المادة وجمعها. فعندما أجري بحثا عن الاتجار بالبشر، أَكْتب رأس الموضوع «الاتجار بالبشر» كي يعطيني البرنامج المادة التي نشرت عن الموضوع من كل المصادر منذ الثلاثينات إلى اليوم، تُجمع لي عبر رأس الموضوع والتأريخ وأنا أختار ما أريد منها كي أجري بحثي».

وهكذا، تردف سلمان، «يستطيع الباحث الاستفادة، سواء كان موجودا في لبنان أم في أوروبا، والتكنولوجيا الموجودة تُسهِّل على الباحث وتعطيه مادة غنية من المصادر كافة، من «السفير» ومن غيرها». ومثلا، «إذا كان الباحث يريد دراسات عن العراق، فيكتب «العراق دراسات» فتعطيه مادة من (صحف) «فايننشال تايمز» و»نيوزويك» و»التايمز» و»الأهرام» وغيرها، تعطيه أهم الدراسات التي نشرت لأهم الكتّاب عن العراق. هذه الطريقة تسهِّل العمل كثيرا».

محاسن ومساوئ التكنولوجيا

أحيانا تتساءل «كيف كنت أعمل بالطريقة البدائية؟ كيف كنت استرجع المادة؟». لا عجب فـ»كم كانت ذاكرتي قوية ! ومهما كانت ذاكرتك قوية فإنك لن تسترجع كل المادة. التكنولوجيا شيء عظيم أحببتها كثيرا لأنها سهّلت لي العمل»، تقول سلمان.

قبل مجيء التكنولوجيا كان العمل يحتّم علينا أن نتذكر كل شيء، «لكن إذا قال لي الأستاذ طلال إنه يريد افتتاحية كتبها عن الإسلام السياسي، فلو كان العمل ورقيا كيف سأجد هذه الافتتاحية؟ هل أُخْرِج كل الافتتاحيات التي كَتَبَها منذ إنشاء «السفير» لأجد تلك المقصودة؟. بينما حاليا تكتب «طلال سلمان الإسلام السياسي» فيعطيك البرنامج كل الافتتاحيات التي كَتَبَها الأستاذ طلال عن الإسلام السياسي. وقد يقول لي إنه كتب في زاوية «هوامش» عن محمود درويش فأَكتب «طلال

سلمان هوامش محمود درويش» فيعطيني البرنامج فقط الافتتاحيات الثلاثة التي كتبها عن محمود درويش. لكن إذا أردت الاعتماد على الذاكرة فسأبحث في 30 سنة عن الهوامش التي كتب فيها عن درويش، وقد لا أجدها».

برأي سلمان فإن «التكنولوجيا جيدة في عملنا، من ناحية، غير أنها ليست جيدة، من ناحية أخرى، لأنها خففت التواصل بين الناس وخرّبت العلاقات الاجتماعية. أصبح التواصل بين الناس على «فايسبوك» و»تويتر»، إذا ذهبوا إلى مطعم لا يتحدثون إلى بعضهم البعض، يتسمّرون بالنظر إلى الهاتف فحسب. التكنولوجيا سهّلت العمل على الباحث الذي ليس بحاجة إلى قصد مراكز أبحاث عدة لإيجاد مادة يحتاجها، وقد يجدها ناقصة بنسبة ستين في المئة».

أما حاليا، «فأؤكد لك أن تسعين في المئة من المادة تكون موجودة ومفهرسة، فتقوم بالبحث ويكون كاملا ومتكاملا. وتستطيع أن تشترك بالنشرة الورقية أو الإلكترونية أو تأخذ مادة «أون لاين» أو على «سي دي» أو تقوم بنسخها (صُوَرا ممسوحة طبق الأصل). الأولاد في هذا العصر بارعون جدا في استخدام التكنولوجيا، فتسأل صبيا عن أسم دواء فيقوم بالبحث عنه وعن سعره ومكان شرائه، أما نحن فتعلمنا التكنولوجيا بعد سنين طويلة».

لازمة التطور

تتساءل سلمان : «كيف أريد مراقبة عمل موظف وأنا لا أعرف طبيعة هذا العمل؟ كيف أريد أجري بحثا لاسترجاع مادة ثم لا أقدر على استرجاعها؟»، تجيب بحزم «إذا لم أتكيّف مع العصر فسأقدم استقالتي. تعلمنا منذ العام 1995 على الأقل في ما يختص في مجالنا. صحيح أنا لا أتواصل كثيرا على «فايسبوك» ووسائل التواصل الاجتماعي الأخرى لكن في مجال عملي أبحث كثيرا وأدخل إلى كل المواقع للصحف ومراكز الأبحاث لأنها تنفعني في عملي. كل ما يتعلق بالتكنولوجيا والبرامج والأسس التي يفترض أن تؤسس عليها البرامج والأقسام والخطط هو من اختصاص ربيعة سلمان وأنا أشرف على التنفيذ. وهي متخصصة في التكنولوجيا والإدارة وأنا بدأت قبلها في العمل في «السفير».

مبدأ تؤمن به سلمان وهو أن «العمل ليس روتينيا يوميا في الأرشيف، فيجب على الموظف أن يطوِّر نفسه، أنا أتواصل كثيرا مع قسم التحرير وأنا استبق الأخبار، فمثلا على ذلك لدي حدث الاتفاق النووي الإيراني، فأخرجت من عندي من الأرشيف صفحة كاملة عن بداية الخلافات وكيف بدأ الاتفاق وكل التفاصيل إلى حين توقيعه، أَخْرجتها بشكل «كرونولوجي» قبل أي صحيفة أخرى. أَقْرَأ الصحف وأتوقع الحدث وأرسل مادة إلى التحرير موجودة في «الداتا».

سلمان تتحدث عن تحدٍ في قبالة التكنولوجيا فتقول: «نحن في عصر إذا لم تسبق التكنولوجيا فإنها تسبقك، وتصبح أنت خارج الزمن. أفكر كثيرا ما هي المادة التي أريد نشرها على الموقع وتفيد الناس، فلا أنشر مئة ألف صفحة عن «داعش» والناس في هذه الأيام بالكاد «تفك الحرف». ففي هذه الأيام لا أحد يقرأ جيدا، كلٌ يقرأ عن الفنانين والرقص وما شابه». وهي ترى أن نحو عشرين في المئة فقط من الناس «تريد أن تعرف من هو «داعش»، فلذلك أنشر على الموقع إطارا يحوي معلومات عنه، كيف أُنشأ ومن يموّله بشكل مبسّط يحبّه الجيل الجديد الذي لا يطّلع. فأنا في تفكير دائم

حول ماذا سأنشر في وقت أصبحنا نقرأ كتابا كاملا على الهاتف وننجز كل أعمالنا عليه فمن المفروض أن نكون نحن أسرع منه».

هل تتخيل كيف ستكون التكنولوجيا لاحقا؟»، تسأل سلمان ثم تجيب بنفسها «نعم ستعرف كل شيء من خلال عيناك فقط! هل كنت تتوقع أن تقرأ كتابا على الهاتف؟. جمالية الكتاب أقرأه بأن ألمسه بيداي بحروفه وعناوينه، يَدُلّك برنامج الأرشيف في أي صفحة نشر الخبر لكن تفتقد قراءته رقميا إلى الجمالية. «السفير» صغر حجمها، لكن ثلاث أرباع أخبارها عليك أن تقرأها على الموقع، فأنا أنظر في الصحيفة الورقية لكن بعدها أفتح الموقع على الأنترنت لأن هناك أخبارا منشورة هناك أيضا، ولكن هناك أخبارا أساسية منشورة في النسخة الورقية».

تعتقد سلمان أن «هناك جيلا يحب الورق حتى في أوروبا وأميركا، إذا إن الصحافة الورقية في أزمة مالية حاليا لا تُحسد عليها، مع أن بعض الصحف بيعت إلى مالكين جدد لكن نسخها الورقية لم تتوقف عن الصدور. فكما يقال نحن «نلحق» الغرب. طيِّب. فالأميركيون والغربيون لم يوقفوا إصدار النسخ الورقية. لكن مع تقدم الزمن ستتوقف النسخ الورقية عن الصدور تجنبا للخسارة المالية. فعندئذ، سيقلّ عدد الموظفين لأن التكنولوجيا تقلل عددهم ولا تكثرهم».

فهرسة الصور والنصوص

يعمل في قسم الفهرسة أو «التكشيف» في «السفير» ثلاث سيدات، فاتن أديب المسؤولة عن الصور وإلهام غدّاف وإنعام شمص المسؤولتان في قسم فهرسة أو «تكشيف» النصوص. وقد يبدو أن فهرسة الصور أسهل من فهرسة

«هناك جيلا يحب الورق حتى في أوروبا وأميركا، إذا إن الصحافة الورقية في أزمة مالية حاليا لا تُحسد عليها، مع أن بعض الصحف بيعت إلى مالكين جدد لكن نسخها الورقية لم تتوقف عن الصدور»

النصوص، لكن أديب تبيّن أن «هناك مراحل يكون العمل في الصور أصعب منه في النص، الذي قد لا يكون متوافرا لتَعْرف على ماذا تدل هذه الصورة، فعليك أن تتابع الحدث. أمامك نص وتريد فهرسته، لكن الصورة (ليست نصا)، لذا هي أصعب. تنظر إلى الصورة لتعرف ما هي العناصر الموجودة في الصورة».

تشير أديب إلى صورة أمامها على الحاسوب، «هنا شرطة ونار تريد أن تعرف في أية منطقة أخذت هذه الصورة أمام النص فتقرأه». وتشير إلى صورة أخرى، «توجد أسفل هذه الصورة أسماء ثلاثة أشخاص: النائب اللبناني ميشال عون ووزير الخارجية والمغتربين اللبناني) جبران باسيل والنائب اللبناني آلان عون، ولكن فعليا يوجد آخرون في الصورة أيضا. يعني إذا لم تكن تعرف الأشخاص فلن تحدِّد خلفية الصورة».

ونسألها عما إذا كل شيء في الصورة يُحفظ كأرشيف بخلاف النص الذي يفرض نفسه، تقول «العاملون في فهرسة النصوص محكومون بها، ليسوا بحاجة إلى الإضافة أو الحذف. لذلك أجد أن الصورة أصعب من النص. بالنسبة إليّ الصورة معبِّرة أكثر من النص».

وعن الأصعب في مجال فهرسة الصور، تقول «أُكْتب اسم شخص على الإنترنت لتبحث عن صورة له، ولكن إذا لم تكن تعرفه... لا أثق كثيرا في الصور إلا إذا عرفت الحدث وعرفت الشخص في الصورة». وتلفت إلى أن البرنامج المخصص للصور يختلف عن ذلك المخصص للنص، ولكن كلاهما يصبّان في البرنامج الأم نفسه. ويوجد تنسيق وتكامل مع قسم فهرسة النصوص. أحيانا استخدم أمورا للصورة لا تستخدم للنص».

هنا تشرح زميلتها غداف تفصيلا حول الخبر القليل الاستعمال قائلة: «مثلا كلمة «المسبحة» (السُبحة)، قليلاً ما نصادف خبرًا عن «المسبحة» أو «الطربوش» أو بعض الأزياء الشعبية». تعود فاتن إلى شرحها قائلة «طلب قسم التحرير مع بعض التفاصيل عن الصورة يُسهّل استرجاعها. أحيانا هناك صورة ـ «لقطة» (للحظة معينة) فماذا تسمّيها؟ لذلك خصصنا قسم «صور فوتوغرافية». ثم تضيف إلهام «الصورة تعطيك خيالا».

لدى قسم الفهرسة مهمة هي فهرسة مادة «السفير» والصحف الأخرى في لبنان والعالم العربي. توضح غدّاف «نحن نفهرس النص اعتمادا على الكلمات الواردة فيه. الأرشفة تختلف عن الفهرسة، فالأولى هي حفظ كل النصوص التي تحكي عن موضوع الاقتصاد في ملف واحد. في الفهرسة نضع واصفات للخبر لفهرسته. لدينا نظام خاص بنا، كل خمس واصفات في «بلوك» واحد تعبِّر عن موضوع معين في قطعة واحدة تكون متناسقة ومتكاملة. وتلفت غداف إلى أن الفهرسة يوجد فيها عنصر الـtechnique أي التفنن أكثر من الأرشيف». تشاركها أديب الرأي بالقول «مثلا، قطعة تتكلم عن ثلاثة مواضيع نضع كل منها في قسمه المناسب».

تتشعب الفهرسة تبعا للخبر، خاصة في العالم العربي «إذ لا يوجد خبر يتحدث عن بلد معيّن»، فمثلا، توضح إلهام، «هناك خبر يتحدث عن جريمة ارتكبتها الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) والأعداد التي قتلتها من الناس ثم يحكي عن عملية انتحارية حدثت في الموصل. فالخبر متشعّب، فيجب فصل كل قطعة لوحدها». وترينا إلهام طريقة البحث عن الموضوع المفهرس على حاسبها، فتأحذ الأسلحة النووية مثلا، إذ «نُدخِل كلمة بأية رؤوس مواضيع

أو كلمات دالة أو مفتاحية للحصول على نصوص مرتبطة بالبحث».

وفقا لغدّاف، فإنه «عليك أن تقرأ في خمس دقائق النص وتستخلص ماذا تريد منه بالضبط. أصبح لدينا سرعة في قراءة النص ومعرفة التعامل معه، فنعرف من العنوان ماذا يتضمن النص. لكن الصعوبة تبقى في اختيار الخمسة واصفات للنص». وترى أن من يعمل في التوثيق يجب أن يتمتع بالثقافة فـ»ليس أيا كان سيعمل معنا، يجب عليك القراءة باستمرار حتى إذا سُئلت عن فلان عليك أن تعرف التفاصيل عنه».

*صحفي لبناني

المصادر والمراجع:

1. معجم المعاني الجامع:
http://urlmin.com/4r4tk
2. المجلس الدولي للأرشيف:
http://www.ica.org/6363/welcome/.html
3. تعريف «المكنز»، من موقع كمال شاتيلا :
http://urlmin.com/4r4tl

ثقافة أرشيفية

الأرشيف القومي الكندي

آلاء هاشم*

انتهجت الجهات الحكومية في غرب أوروبا ووسطها أسلوب الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في حفظ وثائقها في أماكن خصصتها لذلك. و كانت فكرة تركيز الأرشيفات في جهة حكومية واحدة تُطبّق في فرنسا باستمرار، فدار الوثائق الرسمية في باريس كان مستودعًا لأرشيفات الحكومة المركزية أثناء الثورة الفرنسية، كما أُنشِئت هيئات أرشيفية تابعة لها في المحافظات مسؤولة عن وثائق المؤسسات البلدية والهيئات المحلية الأخرى. وقد دفع هذا الأمر معظم دول أوروبا الغربية والوسطى الى الاقتداء بالتجربة الفرنسية وإنشاء شبكات من الهيئات الأرشيفية تتبع للتنظيم الإداري في الدولة.

أمّا في الولايات المتحدة الأميركية فقد صدر قانون إنشاء الأرشيف القومي في واشنطن في العام 1934، وتلتها كندا فأنشأت الأرشيف القومي library and archives Canada في أوتاوا، الذي يشكل إحدى أهم المؤسسات الأرشيفية في العالم، على أن تحتفظ ولاياتها بأرشيفاتها الخاصة.

كيف أنشِىء الأرشيف الكندي؟

في العام 1872، تمّ تأسيس الأرشيف الكندي بوصفه قسمًا في وزارة الزراعة، وفي العام 1912، تمّ تحويله إلى مؤسسة عامة مستقلة، وأُطلِق عليه اسم المحفوظات الوطنية في كندا في العام 1987.

وفي 21 مايو 2004 تمّ توحيد المجموعة الأرشيفية والمكتبية من الأرشيف الوطني لكندا والمكتبة الوطنية الكندية تحت مسمّى المكتبة والأرشيف الكندي، على أن تكون تحت مسؤولية وزير الثقافة والتراث.

ومنذ تأسيسه، وضع الأرشيف القومي الكندي مجموعة الأهداف التالية:

الحفاظ على التراث الوثائقي الكندي لصالح الأجيال الحالية والمقبلة.

وضع هذه الوثائق في متناول الجميع كمصدر للمعرفة، نظرًا لمساهمتها في التقدم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي في كندا.

تسهيل التعاون بين المجتمعات المحلية المعنية في مجال اقتناء وحفظ ونشر المعرفة، لتكون بمثابة الذاكرة الجماعية لحكومة كندا ومؤسساتها.

الحفاظ على سجلات الدولة والمؤسسات الحكومية والهيئات المحلية لضمان الشفافية والمساءلة.

الأرشيف القومي الكندي مؤسسة عامة تُعنى بجمع الوثائق وإتاحتها، فهي تُشَكّل التراث الوثائقي المشترك لجميع الكنديين إذ تشتمل على تاريخ الدولة الكندية وتتضمن موادًا مختلفة من جميع أنحاء كندا، من صور وصحف ونصوص وغيرها... وكذلك تضم وثائق خارجية لها علاقة بالتاريخ الكندي أو ما فيه مصلحة للكنديين.

محتويات الأرشيف القومي الكندي وأهدافه

يضم الأرشيف الكندي مجموعة من الوثائق تم تجميعها خلال ال140 سنة الأخيرة، وهي التالية:

- نحو 20 مليون كتاب بلغات مختلفة، منها كتب فنية نادرة والطبعات الأولى من الأدب الكلاسيكي وقصص الخيال الشعبي.
- مجموعة كبيرة من السّجلات الحكومية والخاصة.
- أكثر من 3 ملايين وثيقة من الرسوم المعمارية والخطط والخرائط، ويعود بعضها الى القرن الثّامن عشر.
- كمية كبيرة من المعلومات المحفوظة إلكترونيًا ، بما في ذلك آلاف الأطروحات والدوريات والكتب الإلكترونية.
- 30 مليون صورة فوتوغرافية، بما في ذلك الصور المطبوعة والإلكترونية.
- أكثر من 90 ألف فيلم، بما في ذلك الأفلام القصيرة والطويلة والوثائقية وبعضها يعود تاريخها الى العام 1897.
- أكثر من 550 ألف ساعة من تسجيلات الفيديو والتسجيلات الصوتية.
- أكثر من 425 ألف عملًا فنيًا، بما في ذلك اللوحات الزيتية والرسومات والكاريكاتير والمنمنمات، وكذلك الميداليات والأختام والملصقات والشعارات.
- أرشيف البريد الكندي.
- نصوص لمختلف الأفراد والجماعات الذين ساهموا في تطوير الدولة الكندية على المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.
- صحف وطنية.
- الأعمال الموسيقية المختلفة.

ويسعى الأرشيف القومي الكندي إلى الحفاظ على التراث الوثائقي الكندي لصالح الأجيال الحالية والقادمة، وإتاحته للجمهور باعتباره مصدرًا للمعرفة ووسيلة للّتقدم الثّقافي والإقتصادي، كما أنه يضمن الشفافية بين الدولة والمواطن من خلال حفظ السجلات الحكومية وأعمال البلديات وغيرها من الهيئات العامة ، الأمر الذي يتيح مساءلة الدّولة ومحاسبتها للمواطن الكندي.

الوثائق النادرة في الأرشيف القومي الكندي:

وثائق تتعلق بالهجرة: كندا متميزة بالتنوّع الثقافي والعرقي واللغوي لسكانها، وهذا نتيجة لعمليات الهجرة التاريخية اليها، ويضّم الأرشيف الكندي مجموعة من المقتنيات النادرة التي تعكس هذه الظاهرة، وتشمل: سجلات الهجرة، وقوائم بأسماء المسافرين، ورسائل ومذكرات وخرائط وصور وغيرها.

وثائق تتعلق بالحرب العالمية الأولى من العام 1914 الى العام 1918، وهذه الوثائق تمّت رقمنتها وهي متوفرة إلكترونيًا ويمكن لأس شخص تحميلها من الموقع الإلكتروني.

وثائق تتعلق بالحرب العالمية الثانية من العام 1939 العام 1945، والتي شاركت فيها كندا، ولا توجد أي قيود للوصول الى ملفات الخدمة لأفراد القوات المسلحة الكندية الذين لقوا حتفهم في الحرب.

الخرائط القديمة: منذ تأسيس الأرشيف الكندي في العام 1872 حصلت كندا على مجموعة من الخرائط وخطط رسمها، وحاليًا فهي تحفظ نحو مليوني وثيقة خرائطية.

الأنساب وتاريخ العائلات: بحيث يحوي الأرشيف القومي الكندي مجموعة كبيرة من الوثائق حول تواريخ الولادة والزواج والدفن والتي كانت تحفظها الكنائس في قوائم وفهارس، ومنذ الثمانينات طبّقت المقاطعات التسجيل المدني للتواريخ، كما ويتضمن الأرشيف الكندي مجموعة من الوثائق للنساء والرجال الذين خدموا بلادهم خلال الحروب وغيرها.....

تسجيلات الصوت: يحتوي الأرشيف الكندي على التسجيلا الصوتية في كندا من العام 1900 الى العام 1950، والتسجيلات الصوتية الخارجية للفنانيين الكنديين، ويقدّم

كندا متميزة بالتنوّع الثقافي والعرقي واللغوي لسكانها، وهذا نتيجة لعمليات الهجرة التاريخية اليها، ويضّم الأرشيف الكندي مجموعة من المقتنيات النادرة التي تعكس هذه الظاهرة،

معلومات حول هذه التسجيلات كالعنوان والفنان والتاريخ وغيرها...

الإحصاءات السكانية: هي بيانات رسمية حول عدد السكان في كندا، وتشمل المعلومات التالية: العمر والمهنة والأصل العرقي والطائفة ومكان الولادة. من العام 1851الى العام 1901جرى الإحصاء كل 10 سنوات، وكان الهدف تحديد التمثيل البرلماني على أساس عدد السكان.

الموقع الرسمي الإلكتروني للأرشيف القومي الكندي:

واكب الأرشيف القومي الكندي التّطور، ووفر محتوياته على الشّبكة العنكبوتية، بحيث أصبح الحصول على خدماته ممكنًا من خلال موقعه الإلكتروني:

http://www.bac-lac.gc.ca

كما أنه يوفّر المعلومات عبر مواقع التواصل الإجتماعي من خلال تويتر والفايسبوك والإنستغرام، وفليكر، ويوتيوب، وخدمة الأخبار العاجلة «RSS».

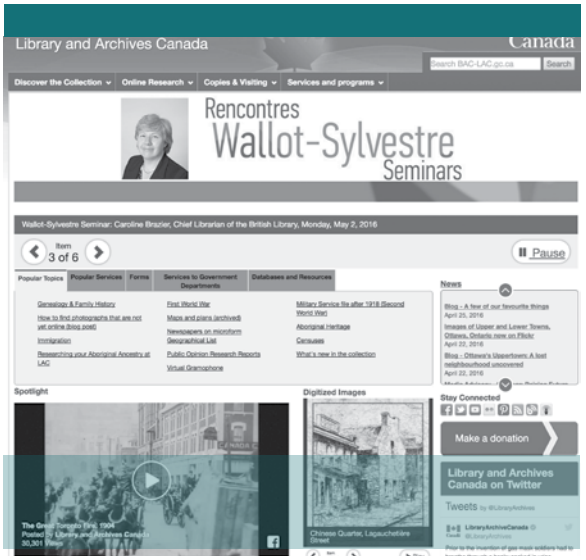

الصفحة الرئيسية في موقع الأرشيف القومي الكندي

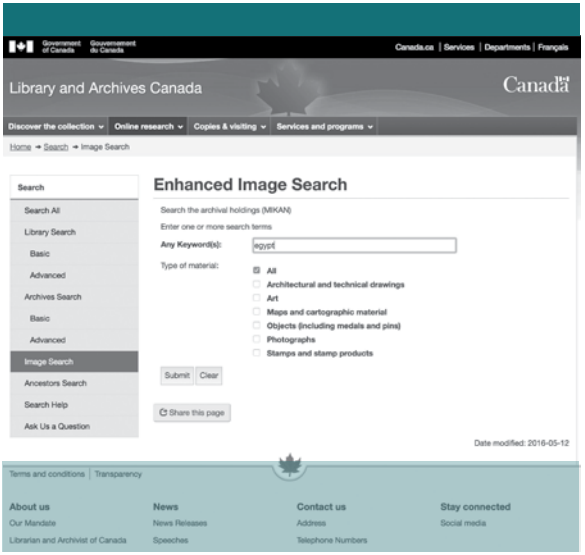

البحث عن صور خاصة بـ «مصر» على محرك بحث موقع الأرشيف القومي الكندي

ويقدّم الأرشيف القومي الكندي الخدمات لمختلف فئات المجتمع وفقًا للتّقسيم التّالي:

عامة الجمهور والباحثين: يتيح الأرشيف الكندي لعامة جمهور المستفيدين قاعدة بيانات واسعة من نصوص، صور، خرائط، فيديو وغيرها، كما أنه يقدّم خدمة المراجع التي تمكن المستفيد من العثور على المعلومات التي يبحث عنها، ويقدّم دليل حول كيفية البحث في الأرشيف.

الناشرين: يتيح الأرشيف الكندي للناشرين بوابة خاصة بهم تساعدهم تحتوي على مجموعة واسعة من البرامج والخدمات لمجتمع الناشرين الكنديين كتقارير الرأي العام وإعطاء الرقم الدولي المعياري للكتب والدوريات والموسيقى بوصفه أحد أنظمة التقييس الدولية وأداة عصرية سهلة، تُمكّن الباحث أو القارئ من التعرف على أحد العناوين أو الطبعات الصادرة عن ناشر معين في بلد معين. إنّ الرقم الدولي الموحد هو أقرب إلى رقم الهوية الذي يعطى للأفراد للتعريف بهم، ولكنه رقم عالمي يعمل به على مستوى العالم.

الجامعات الكندية: يتيح الأرشيف الكندي للطلاب في الجامعات الكندية بوابة لأطروحات الدكتوراه الكندية للإستفادة منها، كما ويتيح منتديات للنقاش الأدبي والفكري بين الطلاب.

المكتبات والمكتبيين: يقدّم الأرشيف الكندي مصادر معلوماتية للمكتبات الكندية لإنجاز بحوثها، كما أن الموقع الإلكتروني يقدّم للمكتبات معلومات حول سياسات ومعايير الفهرسة، ويوفّر من خلال خدمة الإعارة المتبادلة بين المكتبات إمكانية استعارة الكتب أو الحصول على نسخ من الوثائق التي تملكها مكتبة أخرى، وغيرها من الخدمات...

الأرشيف والأرشيفيين: يحفظ الأرشيف الكندي السجلات الحكومية عبر تحويل المؤسسات الحكومية الوثائق التي انتفت الحاجة منها الى الأرشيف الكندي ويقوم بحفظها نظرًا لأهميتها التاريخية والعلمية والبحثية، كما أنه يوفّر خدمة إخبارية مجانيّة متاحة لعامة الجمهور

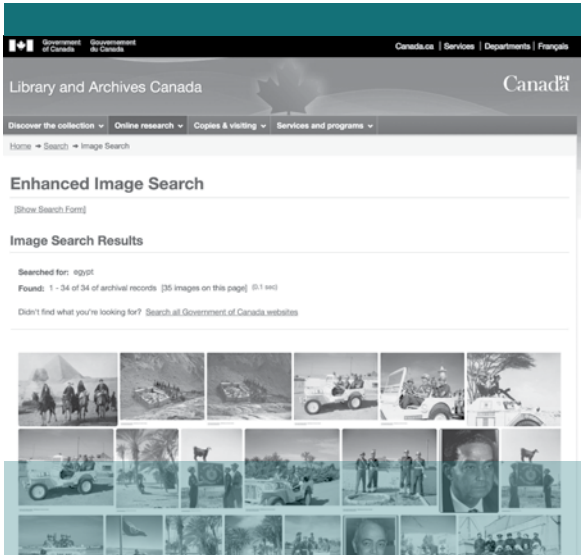

نتيجة البحث عن صور خاصة بـ «مصر» على محرك بحث موقع الأرشيف القومي الكندي

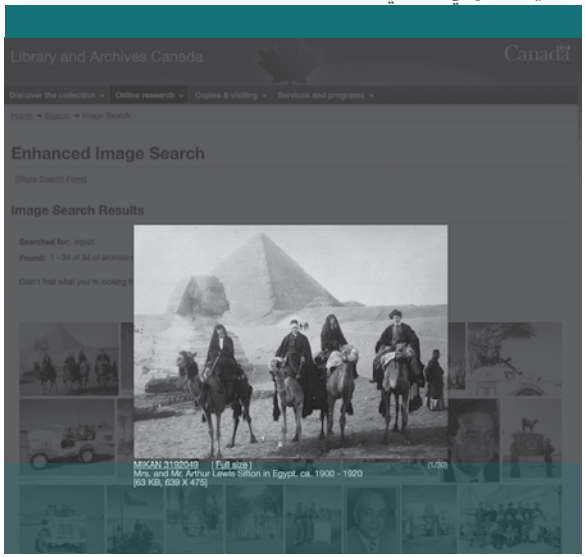

صورة للسيد آرثر لويس سيفتون وزوجته في مصر بين العامين 1900 - 1920، وهي إحدى نتائج البحث على موقع الأرشيف القومي الكندي

إلكترونيًا، تغطي قضايا حديثة عالمية ليبقى الجمهور على اطلاع واسع كالمؤتمرات والندوات وورش العمل وغيرها....

الحكومة الكندية: يُدير الأرشيف القومي الكندي مجموعة السجلات الحكومية بعد معالجتها، ويحافظ على خصوصية بعض الوثائق الحكومية الغير متاحة لعامة الجمهور، كما أنه يساعد الحكومة في الحصول على الوثائق التي تحتاجها.

بحفظها لأرشيفها الوطني، تحمي الدّولة الكندية الذّاكرة الجماعية لشعبها، وتبرز الأهمية التاريخية الدائمة لها، مؤكدة بذلك أنه لا يمكن قراءة التاريخ والتعرف على أحوال أي من الأمم الغابرة من دون وجود وثائق شاهدة عليها. هذه الوثائق تلعب اليوم دورًا رئيسيًا في إبراز الهوية الثقافية للمجتمع الكندي، وتشكّل مرتكزًا رئيسًا للباحثين والمؤرخين، ففهم الماضي يقود الى فهم الحاضر، وينير آفاق المستقبل، والتّجربة الكندية في مجال الأرشيف تشكل نموذجًا يمكن الاقتداء به في عالمنا العربي الذي يفتقد إلى مثل هذه المبادرات لا سيما على المستوى الرّسمي.

*إختصاصية أرشيف

آلية التّصوير المُصَغر وإسهاماتها في عالم الأرشيف والمحفوظات

«التّصوير المُصَغّر» هو إحدى التّقنيات الحديثة التي ظهرت بعد الثّورة الصّناعية. فقد كانت المحاولة الأولى للتّصوير المُصَغر على يد الإنجليزي «جون بنيامين دانسر» الذى نجح، بعد تجارب متعددة، فى تسجيل أول صورة مصغرة

كيف بدأ التصوير المُصَغّر؟

أحدثت الثورة المعلوماتية انتعاشًا على مستوى إنتاج المعلومات وتداولها. فلقد باتت المعلومات ركيزة في جميع أركان الحياة سواء الاجتماعية أو الثّقافية أوالسّياسية وغيرها، وأساسًا في خدمة المؤسسات والمراكز المعلوماتية التي تعتمد على إنتاج المعلومات وحفظها وإتاحتها لجمهورها.

ولذلك، لجأت المؤسسات المعلوماتية إلى تقنيات بهدف تلبية حاجاتها الكامنة في حفظ المعلومات من الضّياع والنّسيان ومعالجتها وتسهيل استرجاعها. ووفقًا لتعريف مجموعة تقنية المعلومات الأمريكية ITAA، فإن تقنية المعلومات هي «دراسة، تصميم، تطوير، تفعيل، دعم وتسيير أنظمة المعلومات التي تعتمد غالبًا على تطبيقات وعتاد الحاسوب».

في هذا المجال، نلقي الضّوء هنا على «التّصوير المُصَغّر»، وهو إحدى التّقنيات الحديثة التي ظهرت بعد الثّورة الصّناعية. فقد كانت المحاولة الأولى للتّصوير المُصَغر على يد الإنجليزي «جون بنيامين دانسر» الذى نجح، بعد

تجارب متعددة، في تسجيل أول صورة مصغرة، وواصل الفرنسي لويس داجير محاولات دانسر لتطويرها إلى أن جاءت الحرب الفرنسية البروسية (بين العامين 1870 و1872) وكانت باريس محاصرة آنذاك. في تلك الظّروف، برزت الحاجة إلى إرسال معلومات إلى الجنود الفرنسيين الموجودين خلف الحصار فكان الاستخدام العلمي الأول للمصغرات الفيلمية على يد الفرنسي رينيه داجرون الذى استطاع تسجيل 2,5 مليون رسالة على أفلام خلال ثمانية أسابيع وإرسالها خلف خطوط القتال بواسطة الحمام الزاجل.

ومع الزّمن، تطورت تقنية التّصوير المُصَغر لتصبح أكثر دقة، وأكثر إحاطة بكافة أنواع المحفوظات، ووفّرت للمكتبات ومراكز المعلومات فرصة تسهيل تبادل المعلومات والإحاطة بها، وحمايتها من السّرقة والإتلاف وغيرها من الأخطار. ومن الوثائق التي يمكن توفيرها عليها: المخطوطات والكتب النّادرة والثّمينة، والوثائق الرّسمية ذات القيمة التّاريخية، ومصادر البحث الأولية، والمطبوعات الحكومية، والدّوريات من صحف ومجلات، والخرائط بكافة أنواعها ومعلوماتها، وملفات القصاصات الصّحفية والإعلامية، والملفات الإدارية الرّسمية، وفهارس المكتبات.

المُصَغرات الفيلمية

ليست عملية التصوير المصغرعملية عشوائية، بل هي عبارة عن مجموعة من الإجراءات الفنية والتّقنية لتحويل المعلومات من وعائها الورقي الى وعائها الفيلمي المصغر (أي ما يُسَمى بـ «المُصَغرات الفيلمية») غير المقروء بالعين المُجردة. وتعتبر المُصَغرات الفيلمية قفزة نوعية في مجال تقنيات حفظ المعلومات والوثائق، فهي إلى جانب عيوبها، تتمتع بعدد من الميّزات التي تجعلها تُستَخدَم في المكتبات ومراكز المعلومات، حيث إنها تُشَكل الحلّ المناسب لمشكلة تضخم الوثائق الورقية في المؤسسات ومراكز المعلومات، كما أنها تضمن الحفاظ على سرية الوثائق وحمايتها من العبث والتّزوير.

وتتلخص إجراءات إعداد المُصَغرات الفيلمية بالتّالي:

1. مرحلة الإعداد الفني والعلمي: ويشتمل على المواد المطلوب تصويرها بحيث تتم معالجتها في حال كانت قد تعرضت للتلف نتيجة لتقادم الزمن عليها أو حفظها في بيئة لا تحوي الشّروط المناسبة للحفظ، ويُصار بعد ذلك إلى تصنيفها وفهرستها لتسهيل استرجاعها.
2. مرحلة التّحويل التّصويري: وتشتمل على عملية التّصوير الميكروفيلمي وما يتبع ذلك من تحميض للأفلام، وتقطيعها.
3. مرحلة الحفظ والاستخدام: وتشمل هذه المرحلة تداول المواد من قبل المستفيدين وتسويقها، وذلك من خلال أجهزة خاصة لقراءة المُصَغرات.

تختلف المُصَغرات الفيلمية من حيث الأحجام والأشكال والمواصفات، ويأتي أغلبها في شكلين: الأشكال الميكروفيلمية الملفوفة والاشكال المسطّحة، ويضم الشكل الملفوف ثلاثة أنواع هي:

1. الميكروفيلم الملفوف على بكرة مفتوحة: يُخَصّص هذا النّوع لإنتاج النسخ الميكروفيلمية الأصل أو الجيل الأول من الأصول الورقية ويتم حفظه من التّداول حيث يتم صنع نسخ أخرى منه للاستخدام.
2. الميكروفيلم المحفوظ داخل غلاف ورقي.
3. الميكروفيلم المحفوظ داخل غلاف كارتردج.

أمّا الأشكال المسطحة فتقسّم إلى:

1. الميكروفيش وهي عبارة عن بطاقة فيلمية مسطحة تترتب فيها اللقطات بشكل أفقي وعمودي، وتكون عدد اللّقطات ما مجموعه 60 لقطة بشكل عام وبالإمكان زيادة عدد اللقطات في حالة زيادة نسبة التصغير.
2. الحوافظ: تمتاز بإمكانية تحديث المعلومات والبيانات لكونها عبارة عن جيوب يمكن تفريغ محتوياتها أو إضافة ما هو جديد عند الحاجة.
3. البطاقة ذات الفتحة.

غني عن القول إن اختيار المصادر التي سيتم تحويلها إلى مُصَغرات فيلمية يخضع لعدة معايير منها حجم المادة وندرتها ودرجة السّرية والأمن المطلوبة لها، بالإضافة إلى قيمتها الوثائقية وصعوبة تداولها واستخدامها. كما أنه يتوجب حفظ هذه المُصَغرات الفيلمية وفقًا لطرق وأساليب خاصة، بهدف حمايتها من العوامل الطبيعية والبشرية التي قد تؤدي إلى تلفها تلفًا كليًا أو جزئيًا. وهو ما سنطلع عليه في مقال قادم بإذن الله.

حق الوصول إلى المعلومات: بين مصالح الأنظمة وأحلام الشّعوب..

علي إبراهيم مطر*

لا يمكن فهم أي حضارة بمعزل عن تاريخها، وسيكون الاطلاع على هذا التّاريخ والإحاطة بأحداثه أمرًا مستحيلًا من دون وجود ما يُوثّقها، فالوثيقة ليست مجرد مخطوطة عابرة لاستخدامات عادية، إذ يكمن دور الوثائق في حفظ الخصوصيات الثقافية والتّراث الفكري للشّعوب، وهي تشكل منبعًا ثقافيًا وعلميًا يساعد على تنمية المجتمعات وتطورها على كافة المستويات. من هنا تنبع أهميتها كمادة أرشيفية تبقى في متناول يد الأجيال وكحافظة لتراث الشعوب.

ولطالما سعت الشعوب باختلافها للحفاظ على مخزونها الوثائقي من خلال وضع نصوص قانونية وتشريعية مختصة بالأرشيف وتنظيمه ضمن مراكز أرشيفية ذات أنظمة محددة. وقد قام عدد من الدول بالاهتمام بميدان التشريع في مجال الأرشيف، فانتشرت هذه الثّقافة في العالم حتى في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، وعلى سبيل المثال، كانت هناك قوانين تشريعية للأرشيف في أوروبا وفي فرنسا على وجه الخصوص من بينها المرسوم 7 ميشيدور II المؤرخ في 25 يونيو/حزيران 1794، ويعكس هذا المرسوم أساسًا المفهوم التّاريخي للأرشيف لأن النّظرة السّائدة آنذاك والمُطَبقة في الميدان هي التي تميز بين الأرشيف الإداري والأرشيف التّاريخي عند الفرنسيين.

أهمية هذه الوثائق ودورها في حفظ التّاريخ كانا الدّافع الأساسي وراء وضع تشريعات أرشيفية خاصة لتأطير عملية الوصول إليها وتنظيمها بهدف حمايتها. فمن حق أي شخص الوصول إلى المعلومات، وهذا حق عالمي وليس حصرًا على بلد ما، ولكن من الواجب أيضًا الحفاظ عليها في ما يشكل حماية للذّاكرة الجماعية للشّعوب من الضّياع والإهمال.

وفي هذا المقال، سنستعرض نموذجًا شهده ميدان التّشريع اللّبنانية في هذا المجال، كون لبنان جزءًا من هذا المجتمع العالمي، وتقع على عاتقه مهمة صون حقوق شعبه من خلال حماية حق الأفراد في الوصول إلى المعلومات لا سيما أنه عضو مؤسس في منظمة الأمم المتحدة وملتزم بمواثيقها وبالإعلان العالمي لحقوق الانسان، الذي ينص، في المادة 19

منه، على أنّه «لكل شخص الحق في حرية الرأي والتعبير. ويشمل هذا الحق حرية إعتناق الآراء من دون أي تدخل، واستقاء الأنباء والأفكار وتلقيها وإذاعتها بأية وسيلة كانت من دون تقيّد بالحدود الجغرافية».

أضف إلى ذلك، أن لبنان صادق على العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسية والذي ينص في المادة 19 منه على أنه «لكل إنسان حق في حرية التعبير. ويشمل هذا الحق حريته في التماس مختلف ضروب المعلومات والأفكار وتلقيها ونقلها إلى آخرين دونما اعتبار للحدود، سواء على شكل مكتوب أو مطبوع أو في قالب فني أو بأية وسيلة أخرى يختارها».

وتتطرق كذلك المادة 10 من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد لهذا الأمر إذ تنص على أهمية الكشف عن المعلومة بهدف تأمين المصلحة العامة لا سيما المعلومات المتعلقة بكيفية تنظيم الدولة لإدارتها العمومية.

مع ذلك، لم يتمكن المواطن اللبناني حتى الآن من الإفادة من هذا الحق علمًا أنّه يوجد اقتراح قانون قُدِّمَ إلى مجلس النواب اللبناني في أبريل/نيسان 2009، وهو يتضمن القواعد والإجراءات الخاصة بالوصول إلى المعلومات. وقد تم وضعه بعد التّقييم الدّقيق للقوانين والتّشريعات القائمة والمرعية الإجراء في لبنان بالإضافة إلى قوانين وممارسات الدول الأخرى بشأن الوصول إلى المعلومات.

ويسعى القانون المُقتَرَح إلى تعزيز الشّفافية في الإدارة ومكافحة الفساد وتعزيز الثقة بين المواطن والدولة من خلال تكريس حق فعلي في الوصول إلى المعلومات. وبذلك يتطابق مع ما تنص عليه المعاهدات الدولية، لكن طالما لم يتم إقراره، فإن ذلك يحرم المواطن اللّبناني من أحد حقوقه الأساسية في في بلد يُفتَرَض أنّه ديمقراطي، لا سيما أن الاقتراح يُعَرف «المعلومات» بأنّها تشتمل على المستندات الخطية والملفات الإلكترونية والتّسجيلات السّمعية والبصرية أو الصّور التي تحفظها الإدارة العامة. ويؤكد أن الجهة المُلزَمة بتوفير المعلومات هي الإدارات الحكومية المركزية والمحلية، وعليه فمن حق أي شخص- سواء كان

لبنانيًا أو أجنبيًا، طبيعيًا أو معنويًا- الوصول إلى المعلومات. لكن يُستثنى من هذه الوثائق ما يشمل أسرار الدفاع الوطني أو وزارة الخارجية أو أي معلومات تدخل في نطاق حياة الأفراد الخاصة.

وإذا كان بعض هذا النّشر يُطَبق من خلال بعض المؤسسات أو نشر القوانين أو المراسيم في الجريدة الرسمية وعلى مواقع إلكترونية خاصة بهذه الإدارات، إلا أن ذلك لا يعني أن ما ينص عليه القانون قد تم تطبيقه بحذافيره وأن اللّبناني حر في الوصول الى المعلومات التي يريدها، هذا المنع ينطبق أيضًا على عدد من الدّول العربية التي تحرم المواطنين من حقوقهم في الاطلاع على ما يدور في أروقة وكواليس الأنظمة أو الحصول على الوثائق التي تصدر عن الدولة خشية أن تستخدم ضدها كدليل لإدانتها.

وفي هذا معضلة جوهرية، فمن دون الحصول على هذه المعلومات، سواء في لبنان أو غيره من الدّول، لن تتمكن الشّعوب من مساءلة الحكومات، أو الكشف عن الفساد، وتحقيق العدالة الاجتماعية، والوصول إلى الديمقراطية الحقيقية، غير أنّ هذا هو الهدف الذي ترنو إليه الحكومات العربية، إذ تعمل دائمًا على مصادرة الحريات التي قد تشكل عائقًا في سبيلها، ويبقى الحق في الوصول إلى المعلومات مطلبًا للمواطنين ولكل مكونات المجتمع، لا سيما أنه يشكل أداة تمكنهم من انتهاج مسار الحرية والدّيمقراطية الذي يسعون إليه.

*باحث لبناني

من «الأوتودافي» إلى محارق الذّاكرة الجماعية: التّدمير الممنهج والمنظم لأرشيف المحفوظات في جزر القمر(1975 - 2001)

غنى مونّس

من منا لم تؤلمه قراءة الأسطر التي تصف «الأوتودافي» الشّهير في «كانديد أو التّفاؤل»، رائعة الفيلسوف الفرنسي فولتير؟ أو مشهد حرق الكتب في الفيلم الأجنبي «سارقة الكتب» أو في رائعة المخرج المصري يوسف شاهين «المصير»؟ أن تحرق كتابًا يعني أن تعمد إلى إتلاف مادة بهدف إفنائها وإبادتها. ويزخر التّاريخ بقصص محاكم التّفتيش التي أحرقت الكتب على خلفية مزاعم بوجود هرطقة فيها أو مروقًا عن الدّين وأحكامه المقدسة، لتستهدف العملية بعد ذلك العقل، حيث تتم إبادة كل كتاب يُمَجده ..

وعن سبب اختيار الحرق وسيلة لذلك، يذهب الكاتب الجزائري واسيني الأعرج ردًا على سؤال طرحه على نفسه: «لماذا النّار؟» بالقول: «ربما لأنها لا تترك أثرًا إلا خطوط الرماد التي تعقبها عملية التّفتت والمحو النهائي»...

الأوتودافي: أصل كلمة «أوتودافي» برتغالي، وهي مرتبطة بتطور محاكم التفتيش، في البرتغال وأسبانيا وأصلها بالفرنسية "acte de foi" وتعني فعل الإيمان المرتبط بالاحتفالية الشعبية التي كانت تشرف عليها محاكم التفتيش المقدس لحظة إعلان احكامها ضد المارقين دينيًا. وشيئا فشيئا تطور المعنى ليصبح مقابلا لتنفيذ أحكام الإعدام حرقا ضد الهراطقة والمرتدين عن الكاثوليكية، حيث كان يُلقى القبض على كل من يجاهر بخروجه عن المسيحية في معناها الأكثر ضيقًا، أو يرفض الانصياع للسلطات الدينية الرسمية، فتتكفل به محاكم التفتيش المقدس وتقوم بحرقه لتطهير روحه من الدنس. في ما بعد، أصبح معنى كلمة «أوتودافي» ضيقًا ولكن شديد الخطورة، فارتبط بحرق الكتب والمخطوطات في حفل عام يشهده الشعب والسلطات الدينية العليا كما حدث في مدن الجنوب الأندلسية.

هذه الجهالة، وهذا الجمود الفكري والعاطفي امتدت عدواهما إلى زمننا الحالي ... لنشهد «محارق متعددة» على خلفية دينية أو عقلية، أو حتى سياسية، تهدف في أغلبها إلى محو هذا المخزون الديني والفكري والثقافي والسّياسي، بل وحتى المدني لفئة ما، بدعوى حمايتها. إنها «إبادة للذّاكرة» بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

ما بدأ على مر التّاريخ بحملة شعواء، يجسدها انفعال عاطفي لمجموعة من المتحمسين للتّطبيق الفعلي لأفكار دعاتهم تحول لاحقًا إلى عمليات ممنهجة ومنظمة، يُخَطّط لها وتُنَفّذ بشكل مدروس، لتحقق هدف الإبادة المرجو منها.

أشهر حملة لحرق الكتب سُجّلَت في تاريخ الإنسانية، تلك التي أقدم عليها الأمبراطور الصيني شي هوانغ تي في العام 212 قبل الميلاد حين قاد حربه على الكتب فأتلف وأحرق مئات الدراسات التاريخية والأدبية والقانونية وطارد الأدباء ولاقى كل من قبض عليه المصير نفسه. وفي العام 392 للميلاد أحرقت مكتبة «سيرابيوم» في الاسكندرية بأمر من الأمبراطور ثيودوسيوس الأول. وكان ذلك قبل ثلاثة قرون من حريق مكتبة الاسكندرية الشهير. في القرن السادس عشر، أحرق الأرشيدوق دييغو دي لاندا كل مكتبات المكسيك القديمة. وبحث الغزاة الأسبان عن كل الآداب المتعلقة بحضارة المايا ودمّروها تدميراً كاملًا بصفتها علومًا وثنية . وقد تحدث الكثير من الشهود عن الصرخات المعذبة التي أطلقها علماء المايا خلال رؤيتهم أعمالهم وأعمال أسلافهم تحترق أمام أعينهم وتتطاير مع اللهب، وقد حمل هذا بعضهم على الانتحار.

في الحروب النابوليونيّة، تم تدمير أو نهب الكثير من المكتبات الكبيرة في أوروبا، وساهم الاستعمار الفرنسي في نهب الكتب العربية وحرقها.

وتتابع الأمر في الحروب اللّاحقة، ففي الحرب العالمية الثّانية، وتحديدًا في 10 مايو/أيار من العام 1933، أحرق النّظام النّازي آلاف الكتب في ساحة أوبرا برلين. وفي العام 1937 قصفت مكتبة الإيسكوريال بمدريد، ولم يكن هناك شيء فيها باستثناء الكتب والمخطوطات النادرة والكثير من اللوحات الفنية. فاشتعلت النار في كل محتوياتها التي لا تُقَدر بثمن. وأُحرِقت في العام 1992 مكتبة سراييفو وهي موقع كان خارج مساحة الاقتتال، لا شيء فيه إلا الكتب، ودُمِّرت عن آخرها.

ما بدأ بالكتب، امتد ليشمل المحفوظات، وفي هذا المجال شهدت الحروب الأهلية والإقليمية على حد سواء حرق وتدمير المؤسسات المعنية بالمحفوظات والوثائق والأرشيف، وآخرها ما شهدناه ونشهده على يد داعش في الموصل وغيرها من المناطق الواقعة تحت سيطرتها في الشّرق الأوسط.

في هذا العدد من مجلة أرشيفو، نتناول بحثًا قدمه شارلي جوليفيه، وهو طالب في مرحلة الدّكتوراه في اختصاص الأرشفة والمحفوظات، بعنوان «بين عدم الاستقرار السّياسي، والانقلابات والحروب الأهلية: تدمير الأرشيف في جزر القمر (1975-2001)». قدم جوليفيه عمله هذا في ورشة عمل حول تأثيرات الحروب على العالم المعاصر، نظمّها طلاب مرحلة الدّكتوراه في قسم الآداب واللّغات والعلوم الإنسانية في جامعة آنجرز في فرنسا. وقد حملت مداخلة جوليفيه في حد ذاتها تحديًا كبيرًا لأنّها شملت عملية إعادة بناء الأحداث التي كانت غير مكتملة، وقد دفع هذا الطّالب شارلي جوليفيه إلى البحث عن أشخاص شهدوا هذه الأحداث والحصول على شهادات شفهية منهم، جمعها لاحقًا مع قصاصات ورقية ما زالت موجودة، بشكل عام خارج الحدود الحالية لجزر القمر وآنجوان (إذ لم يبقَ في الواقع إلا جزء يسير من أرشيفات الجزيرتين).

استحضر شارلي جوليفيه في دراسته السّنتين التّاليتين لاستقلال جزر القمر، واللّتين شهدتا التّدمير الهائل للأرشيف، سواء عن

طريق «الأوتودافي» أو النّهب. في حالة جزر القمر، كان الأمر عبارة عن حلقة ثورية أدت إلى قضاء منهجي مخطط له بشكل واضح عليه. وهنا، تم حرق سندات الممتلكات والوثائق الشّخصية والسّجلات الشّخصية بما في ذلك الأعمال في الساحات العامة. وقد شمل ذلك الوزارات كلها. في آنجوان، كان الأمر كذلك تدميرًا متعمدًا ومسيطرًا عليه، وفقًا لأوامر واضحة، وأدى إلى اختفاء صناديق الأرشيف من مقر الحاكم. والعام 1978، أدى نوع آخر من السّلوكيات إلى التّدمير المادي لوثائق جزر القمر، إذ تمت سرقة المبنى الذي حوى مركز المحفوظات الوطني، وكان قد أُنشِئ قبل عامين تحديدًا، وتحولت الوثائق إلى أوراق للّتعبئة لدى بائعي الفستق السّوداني.

من خلال هذه الحقبات المليئة بالتّوتر، نستطيع لحظ التّدخل الطّوعي للانقسامات الرّمزية والمؤسساتية. إذ تم وضع حد للامتيازات وتدمير الوثائق وبالتّالي منع عودة النّظام السّابق، وقطع صلة الوصل بين الأنظمة السّياسية والدّينية للجزيرتين. نستطيع هنا استعادة عبارة «نوع من المحاكمة الثّورية للمخطوطات» التي استخدمها ميشليه لوصف مكاتب الفرز في فرنسا أيام الثّورة.

وتناول شارلي جوليفيه أيضًا النّتائج المترتبة على تصفية هذه الوثائق، سواء في ما يخص سكان هاتين الجزيرتين أو في ما يخص سير عمل الإدارات، وأيضًا من وجهة نظر الأدلة القانونية أو الذّاكرة، وكذلك إدارة وأساليب تقييم الوثائق من قبل الأرشيفيين.

فتاريخ البلاد تأثر بعملية الحرق هذه ، التي أدت إلى فراغ ليس من السهل ملؤه. لقد كان «الأوتودافي» في أبريل/نيسان وفقًا لجوليفيه «يهدف إلى وضع حد للممارسات الاستعمارية والامتيازات الكثيرة المعطاة في هذا المجتمع المتأثر بالتّقاليد والدّين»، وبالنّسبة لمؤيدي العملية، فقد «كانت أعمالًا محض ثورية». ويرى جوليفيه أن «نسيان الماضي كان أمرًا مرغوبًا ومنظمًا من قبل الحكم».

في خاتمة بحثه، تحدث جوليفيه عن مواصلة هذه الممارسات من قبل السّلطات في جزر القمر وآنجوان، مع كل ما يمكن أن يترتب على ذلك من نتائج. غير أنه لفت إلى صحوة لدى بعض الشّخصيات في الجزيرة، بدءًا بالجامعيين، الذين أصبحوا يدركون أهمية هذه المحفوظات في تاريخ البلاد.

ويختم جوليفيه بحثه باقتباس عن موسى سعيد أحد الشّخصيات المهمة في جزر القمر، معلقًا بأنه يحمل الأمل في طياته: «الأرشيف هو الحياة [...] لا يمكننا ترك الذاكرة تتلاشى».

Treslado da carta que Alibaxá, governador de Baguedade ou Babilónia, escreveu a Ali Benalion, rei de Gizara.

«Em todo este tempo houve entre mim e vós muita amizade e s
to achegados vizinhos e as cáfilas de ambas as partes vão e vêm, e
certos dias, que el-rei meu senhor me mandou que fosse a Baçorá
posse do reino Ali-Benalion e fizesse uma fortaleza para dali poder
star Ormuz e a Índia, pelejando com os desencaminhados portug
tirasse da sua desaventurada lei e os destruísse. A minha gente
pelo caminho de Záquia e por terra, muito prestes e aparelhad
hão mister, e bombardas grossas, navios; e concertei com eles qu
ntássemos [em] Carná junto de vós, e daí irmos por terra e pel
ar Baçorá; e, como assentei comigo estas cousas, fiz-vo-lo sabe
carta. Minha determinação vos tenho dita, por que saibais em qu
estou; e, pois eu sou vosso amigo, digo-vos que cumpre à vossa h
obedeçais a meu rei e sejais da conta dos seus amigos, porque del
ereis senão muita honra e muitas dádivas e mercês. O bom c
é que me mandeis cá uma pessoa principal e eu mandarei outro
que ambos vão a el-rei, porque dele não vos há-de vir senão m
cê e não deixeis meu conselho, pois sou vosso amigo, porqu

وثيقة وحكاية

علاقة القبائل العربية في البصرة بالبرتغاليين

د. محمد السلمان*

وثيقة هذا العدد، هي جزء من مجموعة وثائق برتغالية في أرشيفي الخاص، تُشكل مصدراً مهماً لدراسة علاقة القبائل العربية الخليجية، وتحديدا في جنوب العراق وحول البصرة، بالبرتغاليين إبان سيطرتهم العسكرية على مساحة واسعة من مياه الخليج في القرن السادس عشر للميلاد. وتركز هذه الوثائق على النشاطات البرتغالية حول البصرة وفيها، وعلى طبيعة تلك العلاقات الناشئة بين السلطات البرتغالية والسلطات المحلية في البصرة، التي فرضتها المصالح الخاصة، خلال القرن السادس عشر للميلاد.

وهذه الوثائق هي جزء يسير مما يحويه الأرشيف البرتغالي (ANTT)، الذي أنشئ عام 1378، وهو حالياً في مدينة (لشبونة) عاصمة البرتغال[1]. وهذا الأرشيف الوطني البرتغالي يضم ثلاثة أقسام ضخمة من المواد المؤرشفة؛ أولها وأكبرها يسمي مجموعة السلسة التاريخية أو الزمنية (Corpo Cronológico)، وتضم 82,902 وثيقة محفوظة في مطويات عديدة تسمي (Maços)، بمعنى حزمة أو صرة. معظم المواد الأرشيفية في هذه المجموعة تعود إلى القرن السادس عشر للميلاد، لا لمنطقة الخليج تحديداً بل لكل مناطق المحيط الهندي.

آلاف الوثائق في هذه المجموعة، كُتبت خلال ما سمّي في الفترة البرتغالية بـ (Idade de Ouro)، أي العصر الذهبي للبرتغال في القرن السادس عشر للميلاد.

ونشير إلى أن سلطات الغزو البرتغالي لمنطقة الخليج، أبدت اهتماماً ملحوظاً بالخط الملاحي الدولي، هرمز- البحرين- البصرة، ولأن طريق البصرة- بغداد كان يشكل للبرتغاليين خلال ذاك العصر، الطريق البديل لما سمي في مصطلح

الكشوف البرتغالية (طريق الهند- Carreira Da India). فمن هذا الطريق البديل تأخذ البضائع طريقها من البصرة إلى بغداد ثم إلى تركيا، أو في الاتجاه الآخر، إلى بلاد فارس حيث طريق الحرير المشهور آنذاك[2]. وفي هذا الصدد، تذكر الوثائق البرتغالية أن البصرة كانت تتمتع بحركة تجارية كبيرة مع الهند في أوائل القرن السادس عشر، حيث تُجمع كثير من البضائع كالشعير، والزبدة، والتمور العراقية، واللؤلؤ البحراني المميز وغيرها. أضف إلى هذا بضائع بلاد فارس، وتحديدا من مقاطعات شيراز، ولار، كالحرير والسجاد، والقماش، والصوف، والذهب والفضة، إضافة إلى، المنسوجات الأوروبية، وسواها، حيث يجري تصديرها كلها إلى الهند عبر ميناء البصرة الخليجي[3].

هذه ظروف صدور تلك الوثائق البرتغالية الخاصة بالخليج، التي تتحدث عن جزء من الشبكات التقليدية البحرية التي كانت تعمل باستمرار بين البصرة و(Goa) بالهند وهي عاصمة البرتغاليين في المشرق الإسلامي.

كانت معظم البضائع التي تأتي عن هذا الطريق، وخصوصا القمح البصراوي، والزبدة، تُحمل على ظهر سفن صغيرة وسريعة تسمي بالبرتغالية (tarrãda) تعمل بين هُرمز والبصرة[4].

كما تتحدث الوثائق البرتغالية، عن السلع الحيوية للبرتغاليين في البصرة، وهي الخيول العربية الأصيلة التي تأتي من قبل المصدرين من زعامات القبائل العربية. فقد كان يصدر سنوياً منها إلى (جوا)، عبر هُرمز البرتغالية ما بين 600-800 حصان عراقي. وبذلك، تكون هذه التجارة مع غيرها من أنواع البضائع الأخرى، كانت تشكل رقما مهماً في أرباح جمارك البصرة، ما دفع البرتغاليين إلى محاولة احتلال البصرة أكثر من مرة، كما حدث خلال حملة القائد البرتغالي (Behchior Tavares de Sousa) عام 1529[5].

ولن نطيل في الحديث عن الوثائق البرتغالية التي تناولت العلاقات مع البصرة وأهميتها للباحثين، فليس هنا مجالها، ولكننا نشير إلى بعض الوثائق البرتغالية، التي تجدون نموذجا مصاحبا منها لهذه المقالة.

علاقة البرتغاليين بالشيخ ابن عليان

ضمن هذا العرض نجد جزء من وثيقتين برتغاليتين تتناولان تلك العلاقة، وذلك خلال فترة الاحتلال العثماني للبصرة بعد عام 1546. فالوثيقة الأولي، هي عبارة عن رسالة بُعثت من قبل الشيخ ابن عليان (Ben Ūlyaan) أحد زعماء قبائل (المنتفج) في البصرة وحاكم منطقة الجزيرة كما تشير الوثيقة، إلى قائد قلعة هُرمز البرتغالية، تذكر أن الأتراك ينوون بناء حصن لهم عند مدخل ميناء البصرة في القرنة[6]. وتعليقاً على هذه القضية، هناك تقارير برتغالية تذكر أن الأتراك من أجل السعي للحصول على المنتجات الشرقية من الهند والشرق الأقصى، اضطروا لنسيان خلافاتهم مع البرتغاليين في الخليج فترات متعددة، وأن الأتراك كانوا بحاجة ماسة للأخشاب من الهند وشرق أفريقيا لبناء أسطولهم في البصرة، وتلك التجارة تمر عبر مضيق هُرمز وهو في يد البرتغاليين؛ لذا اضطروا لمهادنة البرتغاليين عدة مرات من أجل هذا الغرض[7].

كما أنه من جانب آخر أيضاً، اضطر البرتغاليون بسبب حاجتهم إلى القمح من جنوب العراق لتغذية جنودهم في قلعة هُرمز، إلى أن يبادلوا الأتراك المصالح التجارية

نفسها. لذا سمح البرتغاليون، كما تشير الوثائق، بتزويد البصرة سنوياً بحوالى 3000 «بالة» من الفلفل، مقابل تزويد الأتراك للبرتغاليين بألف قنطار من قمح البصرة[8]. إضافة إلى تغاضى البرتغاليين في هُرمز معظم الأحيان عن التجارة الممنوع وصولها إلى البصرة مقابل بعض الرشاوى من الأتراك، كما حدث في عهد قائد قلعة هُرمز المدعو (Luis Falcâo)[9].

وتتناول الوثيقة الثانية في هذه الحكاية، هذه الشخصية، وهو القائد العسكري البرتغالي في هُرمز وقلعتها (Luis Falcâo)، الذي يُعتبر مهندس العلاقات الطيبة بين القبائل العربية في جنوب العراق والسلطات البرتغالية في هُرمز، وقد عمل بكل جهد للحفاظ على تلك العلاقة مع بعض شيوخ قبائل البصرة، ولا سيما أولئك الذين وقفوا بجانب البرتغاليين ضد الأتراك أمثال الشيخين ابن عليان، ويحي. وهنا نعرض لجزء من تلك الوثيقة التي تصف الشيخ ابن عليان بأنه (صديق) للبرتغاليين بهذه العبارة القديمة الواردة في الوثيقة:(há muitos tempos que tivemos amizade)

(منذ مدة طويلة هذا الشخص هو صديق لنا)

أضف إلى ذلك، تدخل البرتغاليين أكثر من مرة في الصراع بين بعض زعماء تلك القبائل العربية على البصرة، وإرسال بضع سفن لمساندة الموالين لهم ضد المعادين للبرتغاليين.

وهناك وثيقتان أخريان من المجموعة نفسها ، لن نعرضهما في هذا السياق، هما عبارة عن رسالتين من ابن عليان، والشيخ يحيى من شيوخ البصرة، جرى إرسالهما أيضاً إلى (Luis Falcâo) في هُرمز تؤكدان تلك العلاقة، التي انتهت بعد هزيمة البرتغاليين وطردهم من الخليج عام 1622، على يد الحلف الثنائي :الانكليز ممثلين بشركة الهند الشرقية الانكليزية (EIC)، والشاه عباس الكبير الصفوي[10].

*باحث أكاديمي

المصادر والمراجع:

1. Guia Geral dos Fundos da Torre do Tombo, ed. Instituto dos Arquivos Nacionais / Torre do Tombo (Lisbon, 1998), p. xxi.
2. D. F. Castro, Crõnica do Vicerei D. João de Castro, (Lisbon, 1995), pp. 36567.
3. Carta Simão da Costa, the Governor of Goa, 1563, ANTT, A. G. vol. V, Gav. xv, 17 40, pp.14041.
4. ANTT, Carta Ormuz, fl. 102, 126.
5. ANTT, Carta Ormuz, June 23 1547, fl. 88, carta D. Manuel de Lima to D. João de Castro.
6. L. Albuquerque, Cartas de D. João III, (Lisbon, 1989), pp. 12122; D. Castro, Crõnica do Vicerei D. João de Castro, p. 358.
7. ANTT, A.G. vol. V, Gav. xv, 1740, p. 142.
8. V. Godinho, Os Descobrimentos e a Economia Mundial, (Lisbon, 1950), vol. 2, p. 162.
9. Carta Ormuz, fls. 88r92r.
10. D. Castro, Crõnica Vicerei D. João de Castro, pp. 35965.

كشكول

حادثة الأسد

أحمد محمد حسن آل خرفوش*

ضمن سياق توثيق الحوادث المهمة، التي مرت بذاكرة البحرين عموماً وقرية سماهيج خصوصاً، سعينا في (موسوعة سماهيج) لتوثيق أكبر عدد من الحوادث التي مرت على تاريخ هذه القرية، سواء تلك الموثقة في المصادر أو المتناقلة في الموروث الشفهي، وهي مهمة شاقة وشيقة، لما تكتنفه من تهافتات وتضاربات ومغالطات وتحريفات وزيادات، وقد بذلنا بمعية ابننا الباحث الأستاذ سماحة الشيخ جمال آل خرفوش جهوداً مضنية في ذلك الصدد، حتى جرى إنجاز الجزء الخاص بالحوادث، الذي أطلقنا عليه عنوان: (تراث مزيج من ذاكرة سماهيج)، المشتمل على أربعة فصول تحت العناوين التالية:

1. الحوادث التاريخية.
2. حوادث مؤلمة.
3. حوادث ومواقف طريفة.
4. وقفات تراثية.
5. محطات من العمل التطوعي.

تأتي حادثة (الأسد) ضمن الفصل الأول الذي حوى مجموعة من الحوادث المهمة والممتعة، وهي من أشهر الحوادث التي يتناقلها أهالي قرية سماهيج، وأبطالها ثلاثة هم: الحاج يوسف آل خرفوش، الحاج حسن علي المؤذن، الشيخ خليفة بن محمد رئيس الشرطة، وإليكم التفاصيل:

في تمام الساعة الثامنة ليلاً، أعلنت الجهات الأمنية هروب أسد من قفصه من مطار البحرين الدولي، أثناء إنزاله من الطائرة، مشددة على ضرورة أخذ الحيطة والحذر، ووجوب لزوم أهالي جزيرة المحرق، وخصوصاً القريبين من المطار كسماهيج والدير وقلالي وعراد منازلهم، إلى حين القبض عليه وتأمين حياة المواطنين، فساد تلك المناطق الهلع والخوف. أما عن الأسد فلم يعرف مكانه، إلا أنه على ما يبدو هرب معرجاً على قرية سماهيج، باحثاً عن مخبأ له، فاخترق المطار من جهة القرية مختبئاً بين بساتين النخيل العامرة إلى أن وصل إلى الساحل، فقرر أن يقضي تلك الليلة في قارب من القوارب القريبة التي انحسرت عنها مياه البحر في حالة الجزر، وهو قارب الحاج حسن بن علي المؤذن رحمه الله، وبعد ساعات قليلة عادت مياه البحر إلى الساحل في حالة المدّ حتى وصلت إلى أوجها، فلم يتمكن الأسد من النزول بعد أن فاجأته مياه المد، فاضطر إلى البقاء في القارب إلى حين عودة حالة المياه للجزر مرة أخرى.

ومنذ الصباح الباكر جاء المرحوم الحاج حسن بن علي المؤذن كعادته إلى قاربه، ليبدأ يوم عمل جديد في صيد البحر، ولم يعر تلك التحذيرات أهمية كبيرة، خصوصاً أن قوت يومه مسألة مهمة لكونه فقير الحال، فلما وصل إلى قاربه ورفع المرساة (السن) المربوطة بحبل قوي ممدود عدة أمتار من القارب، وأراد وضع المرساة في القارب وقبل أن يصعد على متنه، فوجئ بوجود دم على أطراف القارب، وهو دم لطير من طيور البحر افترسه الأسد، ثم صدمه وجوده ففر هارباً مذعوراً، وأخبر أهالي القرية بذلك، فهرعوا إلى الساحل لشعورهم بالأمان من الأسد نظراً لحالة المدّ.

كان المرحوم الحاج يوسف بن أحمد آل خرفوش لا يعلم بحادثة الأسد؛ لأنه يعمل كحارس أمن في مدرسة سماهيج، ولما وصل الخبر إلى المدرسة وعلم بذلك الحاج يوسف، طلب منه مدير المدرسة آنذاك الأستاذ محمود المحمود أن يرجع جميع الطلبة إلى منازلهم، شريطة أن يسيروا بقيادة الحاج يوسف آل خرفوش كمجموعة واحدة غير متفرقة، خوفاً عليهم من ذلك الأسد، الذي يعتبر قريباً من المدرسة في ذلك الوقت. فهرع الحاج يوسف لتوصيل الطلاب، ثم جاء مسرعاً مع جموع أهالي القرية إلى الساحل، مزمعاً على الذهاب إلى الشرطة، محذراً الأهالي من الاقتراب أو السماح لأحد بذلك. وعلى الفور توجه الحاج يوسف آل خرفوش إلى منزل الشيخ خليفة بن محمد بن علي آل خليفة، رئيس الشرطة آنذاك بقرية البسيتين، وكانت تربطه به علاقة وطيدة؛ إذ كان منذ وقت سابق حتى تلك اللحظة مستأجراً (متضمناً) مزرعته الكائنة جنوب مقبرة قلالي، الواقعة ضمن حدود قرية سماهيج، وأخبره بأن الأسد الهارب موجود في سماهيج، وهو محاصر إلا أنه يشكل خطراً كبيراً، وقام الشيخ خليفة بدوره باتباع الاجراءات اللازمة، فسارع إلى الذهاب إلى القرية برفقة الحاج يوسف آل خرفوش ومجموعة من رجال الشرطة، وحال وصولهم إلى موقع الحدث، أمر الشيخ خليفة رجال الشرطة بالاقتراب من القارب ورمي الأسد بالرصاص، فخاف الجميع لعدم تمكنهم من رؤية الأسد داخل القارب إلا إذا اقتربوا منه كثيرا، وفي ذلك مجازفة، الأمر الذي يتطلب أن يتقدم أحدهم من الأسد ليحدد موقعه داخل القارب، لإصابته مباشرة بالرصاص، إذ إن إطلاق الرصاص بشكل عشوائي من دون إصابته سيدفعه لمحاولة الهرب من الموقع، وهذا يعني تهديدا للمنطقة مرة أخرى، فلم يتجرأ أحد من رجال الشرطة على الاقتراب، حتى انبرى الحاج

يوسف آل خرفوش متصدياً للمسألة، مبدياً استعداده للذهاب بنفسه لمعاينة موقع للأسد المختبيء داخل القارب بشكل دقيق، وسط تحذيرات الشيخ والشرطة والأهالي والمشفقين، إلا أنه لم يكترث. فتوجه بحذر ليقترب من القارب، واطلع بدقة على المكان الذي يختبيء فيه الأسد، إذ أشار إلى الشرطة فبادر الشيخ خليفة بإطلاق الرصاص عليه فخر بلا حراك، ولم يُعرف هل الأسد ميت أو مخدر.

وفي كتاب سماهيج في التاريخ جاءت الرواية على الشكل التالي: (بعدها جاء رئيس الأمن إلى القرية برفقة قوة من الشرطة، فأمرهم بقتل الأسد ولكنهم لم يجرؤوا على ذلك لخوفهم منه، فما كان من الشيخ إلا أن أخذ سلاحه ورمى القارب بالرصاص فنهض الأسد من القارب، ونزل إلى البحر محاولاً الهروب، ولكن الذي حدث أن الشرطة هربت خوفاً منه، إلا أن الشيخ رماه بالرصاص، ثم نزل إليه المرحوم الحاج يوسف أحمد خرفوش، وحمله من البحر ووضعه في سيارة الشيخ، وبعد ذلك أعطى الشيخ خليفة 60 روبية للمرحوم الحاج حسن علي المؤذن لتعويضه عن الضرر الذي أصاب قاربه و100 روبية للمرحوم الحاج يوسف أحمد خرفوش تكريماً له على إبلاغه بالخبر الذي أدى إلى إبعاد الذعر عن الأهالي).

وقد أدرج الكتاب في الصفحة نفسها قصيدة طويلة لشاعر سماهيج آنذاك الملا عبدالله محمد بن ناصر المطوع دعبل، تصف تلك الحادثة من بدايتها حتى نهايتها بتفصيلها الدقيق، فاشتملت على (47) بيتاً وهي مهمة لكون صاحبها أكثر قرباً من الحادثة بالرغم من (كثرة التكسير) بوزن القصيدة ولعل السبب راجع إلى الناقل لا إلى الشاعر. والقصيدة كالتالي:

تأتي حادثة (الأسد) ضمن الفصل الأول الذي حوى مجموعة من الحوادث المهمة والممتعة، وهي من أشهر الحوادث التي يتناقلها أهالي قرية سماهيج

بلدنا صارت أمينة واللي يقصدها افتخر
خالق العالم حباها بالتأيّد والنصر
خالق العالم حباها شلون صارت رابحه
إسمها إمنوه وأهلها أهل عقول راجحه
واليريد المكر بيها كل أعماله طائحة
رفعها الباري على كل المدائن بالفخر
بلدة سماهيج ما تقبل أعمال فاسده
واليضدها ما يحصل مصلحه ولا فائده
أو بعد دسمع ياعزيزي الكيد يرجع كايده
او صاحب النيه الشينه ما يحصل من أجر
يوم عشرين الظهر بالناس صارت زلزلة
إنخبصت العالم او صارت للمشاعب شايلة
كلّمن يلقا صحيبه يناشده ويسايله يصيح
دوقف يا نديمي إشها الحكاية وش الخبر
عثر هي صارت الوقعة يا أخي شنهو السبب
الناس كلها خايفه ليكون ثار إهنا الحرب
إيقله دسكت يكفي الله وينا اوين
الحرب هاي أصحاب الطناطر بالتفاكة والسمر
مدري وش جاري علينا يكفي الله العالمين
طبت العسكر إطبابة التفاكه مسلحين
حرب ثاير في بلدنا لو ضياعة فاقدين
هاي أبناء الخليفة في مواترها تجر
إيقولوا هلنقلوا الخبر صكوا حفايزها التجار
حتى من أرض المنامة جاي عاني المستشار
اموجبّه تسعين سيارة وقد ثار الغبار
*عثر صارت زلزله يا مسلمين اشها الخبر
تسعمائة سنطري إبكل الحديد مسلحة
ابهيئه حربيه يقولو هالحكاية اموضحه
والابواب امغلقة من عقب ماهي مفتحة

والبوليسية تحوط إعلى الشوارع بالسمر
راحوا الناس انشدوهم شلجرا ويش السدا
أشوف هيئتكم عجيبة والدروب مسددة
صار وقت الظهر وامن الخوف ما انطيق الغدا
قالو أنتو غافلين او ما دريتو شالخبر
ما دريتو شلجرا وهاي الركض ويا الطرد
البارحه الساعه ثمان إنفلت من عندنا أسد
قصد بلدتكم ولا إتخلوا بعد يطلع أحد
إحنا مسئولين عنكم مابرح هذا الخطر
أو يوم أراد الله الفرج للخلق من ذلك اللعين
قصد يتمشى ولايندل بعد دربه منين
ابهوري لمأذّن إنخش او ساقه رب العالمين
ساعه لن صاحب الهوري جاي يمشي في البحر
بس وصل حملة الهوري رفع راسه او عاينه
شافه بمنظر كديش إعليه ريحه معطنه
صاح به دبشر قصر عمرك بعد يا ابن الخنا
يا خلايق دبشروا في وسط هوريي النمر
طلع مدّوده سريع وما أدري شنهي حالته
خايف ويركض ومثل الطير صارت مشيته
من كثر طرده يقولوا بعد طارت غترته
قصده يروح الحكومه بالعجل يعطي خبر
طلع يوسف بن أحمد خرفوش ثوبه يسحبه
وصّل وعاين الأمه مصدقة ومكذبة
قال باطب البحر صارت العالم تنعبه
ما سمع قول الأوادم بالعجل طب البحر
وراح يمشي يقول أنا ما أريد أحيا بالوطن
قالت الناس تركوا يوسف تراهو مستجن
لكن نروح ابعجل للسوق نشري له كفن
مدري هوه شاله العزم لو هو عايف للعمر

من وصل هوري المؤذن صار قلبه يرتجف
من كلام الناس لكن مارجع ولا انحرف
وصّل وعاين الى نسل الخبيثه منعطف
صاح البشاره ابحيل الله لفا لينا النصر
هذا نسل إبن اللعينه رفع راسه يهزهزه
كان ما يشرد وأنا ملزوم أبغي الجائزة
ساعه لن أهل التفاكه لفت عند بارزه
ركب يوسف ويا أهل الموتر او جوا للنمر
ثوروا عشرين زهبه وسط جسمه ما خذت
التاليه صارت قويه ارويحته بيها اطلعت
وعقب ذاك الخوف جملة الناس كلها آمنت
نالي إبتشت العالم وإرتفع عنها الضجر
فرت العالم جراد أو بالعجل راح البشير
بالخبر يلعن بعد قرت عيونك يا أمير
قتلنا الفاجر وجينا دعطنا خير كثير
قال هذي الجائزة للي قتل هذا النمر
أسمع يقولون خمس امية حصل من تعبته
والمؤذن قد حصل ستين هللي إنتابته
هلي حصل مايعمر له بعد شتوارته
وأما يوسف حصل عشرين إبراحه المندمر
ملا عبدالله بأمركم يا اخواني يالحبايب
قصد بالونسة جميع أو تذكرونه يلصحاب
أمتثل أمرك يا بوصفوان يا نسل لطياب
يا حسن وين الرهش والحلوا والخبز الحمر
تعبتي عندك يا بوصفوان ما تمضي بلاش
أنا مئمل لا خلص هالقول اتمشي لي معاش
بلاليط اوبالدهن ما ريده لو ترشه رشاش
إبها النظم ظليت ساهر والسهر يعمي النظر
جايزة عطني يبوصفوان حقي وتعبتي
رهش أو حلوى دعطني وخلني باكل شبعتي
عقب ما أشبع أباودي الفضيل لعيلتي
قول إن شاء الله ولا تبدي كلام ولا عذر
الخاتمة صلوا على خير البشر المصطفى
وبن عمه حيدر الكرار الله مشرّفة
أو فاطمة الزهراء البتولة وأسباط المصطفى
خصهم المعبود من دون العوالم والبشر

هذا ولنا على ما أورده كتاب سماهيج في التاريخ عدة وقفات نجملها في التالي:

1. **تاريخ الحادثة:** لقد أرخت الحادثة في كتاب سماهيج بتاريخ 20 صفر الموافق 1374هـ المصادف (1954م)، ولا أعلم مصدراً له البتة إلا ما ذكره الشاعر الملا عبدالله المطوع في قصيدته بقوله في الشطر الأول من البيت السادس: (يوم عشرين الظهر)، ولم يحدد أي عشرين وفي أي سنة، فلا نعلم الشهر هل هو هجري أو ميلادي كما لا نعلم السنة. غير أن عدم ذكر الشاعر لأي قرينة تحدد لنا يوم العشرين دلالة واضحة على أنه يقصد يوم العشرين الذي يتبادر إلى الأذهان دائماً عن أهالي القرية خصوصاً والشيعة عموماً، وهو يوم العشرين من صفر الذي يصادف أربعين استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وعلى هذا الأساس بنى كتاب سماهيج على أن الحادثة كانت في العشرين من صفر على ما يبدو، وما يؤيد كون المقصود، هو العشرين من صفر، أن القصيدة قد كتبت، ثم ألقاها الشاعر في أحد المجالس العامرة بالقرية، وربما هو مجلس الحاج حسن أبو صفوان رحمه بطلب منه، وأن الطابع الغالب عليها هو الطابع الفكاهي، وذلك بعد أن انتهت أيام

الحزن ودخلت أيام ربيع الأول بأحداثها المفرحة كما هو متعارف عند الشيعة. ولكي نكون أكثر دقة فإن الشاعر يعني بيوم العشرين من صفر اليوم الذي وصل فيه خبر فرار الأسد(النمر)، فيما كان فراره في ليلة ذلك اليوم أي ليلة العشرين من صفر، الساعة الثامنة المصادف للتاسع عشر من صفر، وأما مجيء الحاج حسن المؤذن إلى قاربه فقد كان عصراً، بعد حصول حالة المد للبحر، من الأرجح أن الحاج حسن المؤذن لم يكن يريد التوجه للصيد؛ لأن الشيعة لا ينطلقون إلى أعمالهم يوم العشرين من صفر وترى فيه كراهة شديدة، ومن الأجدر بالحاج حسن أن يتوقف هو أيضاً عن العمل، لما عرف عنه من تقوى وورع وزهد، بل كان الحاج حسن يريد الاطمئنان إلى قاربه، أو يريد تقريبه إلى الساحل أو أي غرض آخر، ينشده البحارة فصادف أن شاهد الأسد فيه. وعليه فقد حُدّدت السنة الهجرية التي حصلت فيها الواقعة، بعد الظفر بالسنة الميلادية ومعادلة الأولى بالثانية، فلما عُلم بأن الحادثة حصلت عام (1954م) عُلم أن الحادثة كانت في عام (1374هـ) الهجري، والبركة في معرفة سنة الحادثة بالميلادي تكمن في مولد الأستاذ الفاضل عبدالله خليل مريضي في السنة نفسها بل ربما في اليوم نفسه أو في الأيام القريبة حتى لقب بالأسد، ومن المعلوم أن الأستاذ عبدالله خليل قد ولد عام (1954م). ولما علمنا أن الحادثة كانت في العشرين من صفر عام (1374هـ) صار من السهل معرفة التاريخ الميلادي كاملاً باستخدام البرامج المخصص، فتأكد لنا أن الحادثة وقعت في الأحد 1954/10/17م، إلا أن الصحيح أنها وقعت في 20 صفر عام 1372هـ الموافق للسبت 1952/11/9م كما سيأتي فتابع.

2. **المستشار بلجريف:** جاء في القصيدة ذكر المستشار، والمقصود به البريطاني تشارلز بلجريف مستشار حاكم البحرين الذي تسلم تلك المهمة في فترة ما بين عامي (1926م-و1957م)، وبالتالي فإن الحادثة كانت قبل خمس سنوات من إعفائه من منصبه ورجوعه إلى بلده، والغريب أن مذكرات بلجريف التي يعول عليها كثيراً في تدوين تاريخ البحرين، والتي سردت العديد من القضايا التفصيلية، لم تذكر حادثة الأسد على الإطلاق، بالرغم من أنها كانت تمثل أهمية تفوق عددا من القضايا التي ذكرها بشكل مفصّل!! وفي قصيدة الملا عبدالله المطوع آل دعبل رحمه الله التفصيلية للحادثة ذُكر وصول المستشار إلى سماهيج قادماً من المنامة بتسعين سيارة، تُقلّ تسعمئة شرطي (سنطري) مجهزين بالأسلحة، وعلى ذلك يمكن القول إن كل سيارة شرطة كانت تنقل عشرة من أفراد الشرطة. واقعاً لا نستطيع الاعتماد على قصيدة الملا عبدالله بشكل دقيق لأنه كتبها كما

هو واضح، بشكل ساخر (كوميدي) موغلاً في الطرافة والدعابة أكثر من الجدّ، ونحن هنا لا نستطيع أن ننفي وصول المستشار إلى قرية سماهيج إلا أن أحداً غيره لم يذكر ذلك، وهذا لا يبرر قطعاً عدم ذكر بلجريف للحادثة في مذكراته، إلا أن الكلام هنا عن مدى صحة قدومه لسماهيج من عدمه. وقد ذكرت المصادر شخصية حكومية أمنينة مهمة هو رئيس الشرطة الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة، فما الداعي إلى عدم ذكر المستشار؟! وعلى أيّ حال فمن الواضح في القصيدة أن تسعمئة شرطي عدد كبير جداً قياساً بالمهمة فضلاً عن مهمة حماية المستشار، وبالتالي فإن عنصر المبالغة واضح في القصيدة طلباً لتعظيم الواقعة وبيان خطرها على الناس في ذلك الوقت.

3. **وقت رؤية الحاج حسن المؤذن للأسد:** يفهم مما ذكر في كتاب سماهيج أن الحاج حسن المؤذن رحمه، ذهب إلى قاربه، ومن ثم رأى الأسد هنالك للمرة الأولى عند الصباح الباكر، حيث إن الأسد فرّ في حدود الساعة الثامنة ليلاً كما هو مشهور ومذكور في القصيدة أيضاً، وكان البحر في حالة الجزر الأمر الذي مكّن الأسد من الصعود على القارب، وبعد أن عاد البحر إلى حالة المد تعذر على الأسد الخروج فجاء الحاج حسن المؤذن إلى القارب ووجد الأسد هناك. وهذا الأمر مطابق أيضاً للرواية المنقولة شفوياً من خارج كتاب سماهيج في التاريخ، إلا أن ثمة إشكالات تعصف بها، تتمثل في مخالفة ذلك السيناريو لما ذكره الملا عبدالله في القصيدة، حيث بيّن أن الأسد، وإن كان قد فرّ من القفص في الساعة الثامنة ليلاً، إلا أن الأهالي لم يبلغهم الخبر إلا ظهر اليوم التالي، حتّى إنه نغّص عليهم طعام الغداء، وهذا يعني أن حالة الجزر بالليل قد تحولت إلى مد في الصباح، ثم رجعت إلى الجزر، ثم عادت إلى المد ظهراً، ومن المفترض أن الحاج حسن المؤذن- رحمه الله - قصد قاربه في المد الذي حصل ظهراً، وهو نفسه الوقت الذي وصل فيه خبر هروب الأسد، كما وضحت القصيدة، إلا أنه كتاب سماهيج يروي الحادثة، وكأنها كانت في المد التالي للجزر الأول، الأمر الذي يناسب الساعة الثانية صباحاً، وهو غير مقبول البتة، وأما الموروث الشفوي فيحاول أن يوصل المستمع إلى فهم ما مفاده، أن الحادثة كانت في صباح تلك الليلة، وهو أيضاً متعارض مع القصيدة من جهة، ومع ورع الحاج حسن المؤذن الذي يستحيل أن يسمح له بالسعي في الرزق، في العشرين من صفر، وهو ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام من جهة أخرى. وعلى المبنى الذي ذهبنا إليه القائل: إن الموقف حدث في المدّ الثاني، الذي يقدر أنه في الساعة الثانية ظهراً، نقع في المحذور نفسه، إلا أن توجّه الحاج حسن المؤذن إلى قاربه في ذلك الوقت يكون مبرراً أكثر من الصباح،

كما أن سيناريو القضية بحسب الموروث والقصيدة منسجم معه تماماً، ولكنه يجبهه إشكال آخر، يتمثل في سر بقاء الأسد في القارب 18 ساعة تقريبا، من دون محاولته الهرب في وقت الجزر الثاني، الذي يوافق الساعة الثامنة صباحاً تقريباً، وهو أمر يسهل توجيهه خصوصاً حينما نضع في الحسبان كون ذلك الصباح مقدساً، فتتعطّل فيه النشاطات جميعاً ولا سيما البحرية منها، فيكون الساحل هادئاً وخالياً من الناس منذ ليلة العشرين من صفر، وهي ليلة هروب الأسد إلى آخر ساعات نهار العشرين من صفر، الأمر الذي أشعر الأسد بأمان تام، ربما دفعه للخروج من القارب من دون أن يلحظه أحد ليصطاد ما يسد جوعه، إذ تؤكد الرواية أن الحاج حسن المؤذن قد رأى آثار دم طير افترسه داخل القارب، ومن ثم يعود لمخبئه مرة أخرى، ليتوارى عن الناس من جهة، وينجو من الغرق وقت المد التالي من جهة ثانية. وأما عن سبب دخول الحاج حسن البحر في ظهر يوم العشرين من صفر، فلربما كان لسبب آخر غير الإبحار كالتهيئة للدخول ليلاً أو في اليوم التالي، أو ليتفقد قاربه، أو ليضعه وقت المد قرب الساحل، ليسهل عليه صعوده حيث إن الجزر يمنعه من تقريبه إلى الساحل، كما هي عادة كل البحارة.

4. **قاتل الأسد وطريقة قتله:** من الواضح في رواية كتاب سماهيج، أن الشيخ خليفة قام بنفسه بإطلاق الرصاص على الأسد وقتله، ثم قام الحاج يوسف آل خرفوش بانتشاله ووضعه في سيارة الشيخ، وأن الأسد قد قتل بعد محاولة الهرب إلى البحر. وهذا السرد ناقص، وفيه خلط، فلم يذكر دور الحاج يوسف آل خرفوش في تجشمه عناء الذهاب إلى القارب، لتحديد موقع الأسد بدقة، كما أسلفنا، لتسهل عملية إصابته بالرصاص مخافة أن يُفلت ويزرع الهلع والخطر، وهي مهمة استراتيجية لم يجرؤ أحد عليها، فكانت البطولة الكامة من نصيب المرحوم الحاج يوسف آل خرفوش، مع أنه كان لا يملك سلاحاً. وأما كون الشيخ خليفة رئيس الشرطة قد أطلق النار على القارب ما أدى إلى نزول الأسد من القارب، فهو بعيد عن الموروث الشفوي للحادثة، إلا أنه مقارب لمعاني القصيدة، التي نظمها المرحوم الملا عبدالله المطوع آل دعبل رحمه الله، الذي ذكر أن الأسد قد رُمي بـ(عشرين زهبة) أي عشرين طلقة قوية، إلا أنها لم تأخذ من جسمه مأخذها، وكانت الطلقة الحادية والعشرون هي القاضية، إلا أن الشاعر لم يذكر أن الطلقات كانت طائشة وتسببت في فرار الأسد من القارب، بلحاظ أن عدد الطلقات، الذي حدده

بعشرين طلقة ما هو إلا تقديري لبيان كثرة عدد الطلقات. ويبدو أن الشاعر المطوع- رحمه الله - كان يروي القصة شعراً، بحسب ما فهم هو لا كما هو الواقع، إذاً الطلقات التي أطلقها الشيخ خليفة لم تصب جسم الأسد مباشرة، وإنما كانت عبر مرحلتين على ما يبدو، فالأسد لا يرى عن بعد غير أن موقعه في القارب محدد، فبادر الشيخ خليفة إلى إطلاق النار بعد أن اقترب من القارب، وهي شجاعة مشهودة إذ جبن باقي أفراد الشرطة، وكان إطلاق الشيخ للنار عن قرب، إلا أنه يصوب ناحية القارب، كي تخترق تلك الطلقات القارب الخشبي، وتستقر في جسد الأسد القابع في موقع التصويب، وأخال أن الأسد حين بدأ إطلاق النار نحوه قام على رجليه، محاولاً الهرب إلا أنه كان محاصرا بمياه المد التي تحيط به من كل جانب، فبقي حائراً إلى أن أصابته الطلقة القاضية أو الطلقات القاضية، بعد أن أصبح مرئياً لدى الشيخ خليفة. وبعد أن خر الأسد بلا حراك داخل القارب، تحير رجال الشرطة في انتشاله من موقعه، خوفاً من أن يكون الأسد لا يزال حياً، وهنا كان الدور البطولي الأخير للحاج يوسف آل خرفوش الذي توجه إلى الأسد، ورفعه من مكانه ووضعه في سيارة الشرطة.

5. **التعويض بين الحاج يوسف والحاج حسن:** بعد انتهاء الحادثة بوضع الحاج يوسف آل خرفوش للأسد في سيارة الشرطة، وتفرق الجموع من مكان الحدث إلى منازلهم، وقفل رجال الشرطة مع الشيخ خليفة عائدين، قام استدعى الشيخ خليفة بطل الحادثة، الحاج يوسف آل خرفوش لتكريمه على دوره الوطني والاجتماعي، وبسالته في حفظ الأمن والأمان، فكرّمه بتقديم مبلغ له قدره (100) روبية، وحينما تسلّم الحاج يوسف جائزته بادر إلى طرح فكرة تعويض صاحب القارب، لما أصاب قاربه من أضرار جراء إطلاق النار عليه، خصوصاً أنه مصدر رزقه الوحيد، فرحب الشيخ خليفة بالفكرة وطلب من الحاج يوسف آل خرفوش إيصال الرسالة للحاج حسن المؤذن، كي يحدد قيمة تلك الأضرار التي لحقت بقاربه، فأوصل الحاج يوسف الرسالة إلى الحاج حسن إلا أن الأخير لم يعر الأمر اهتماماً، بداعي أن الأضرار التي لحقت بقاربه بسيطة جداً، ولم يوافق على أن يطلب لنفسه مبلغاً محدداً، فقررت له الجهات المختصة (60) روبية، وهي قليلة قياساً بالأضرار التي نجمت عن الحادثة، ولذلك لامه الحاج يوسف آل خرفوش، كما لامه أهالي القرية، وهذا ما عناه الملا عبدالله المطوع في قصيدته بقوله:

(هلي حصل ما يعمر له بعد شتوارته). وبالرغم من اتفاق كل الروايات على أن الحاج حسن المؤذن، قد حصل على (60) روبية إلا أنهم اختلفوا في قيمة جائزة البطل الحاج يوسف آل خرفوش، فقد ذكر كتاب سماهيج، أن الجائزة كانت (100) روبية، في حين أن الشاعر المطوع آل دعبل يشير إلى حصول الحاج يوسف على (500) روبية، بقوله: (أسمع يقولون خمس امية حصل من تعبته)، وهو الرقم الأوجه الذي يبين مدى تقدير جهود الحاج يوسف آل خرفوش وبطولته ، والغريب أن الشاعر في السياق نفسه، قد ذكر حصول الحاج يوسف على عشرين روبية، وذلك في قوله: (وأما يوسف حصل عشرين براحة المندمر)، بعد قوله في الحاج حسن المؤذن: (هلي حصل ما يعمر له بعد شتوارته)، فيظهر أن الحاج يوسف، حصل على مبلغ آخر بقيمة (20) روبية، ولا يعلم السبب، فلعل قاربه قد تضرر لكونه قريباً من قارب المؤذن، وهذا ما لم نسمع به، أو توهم الجهات المختصة بأن قارب الحاج يوسف قد تضرر هو الآخر، وأخال أن هذا المبلغ الإضافي نظير تعويض الحاج يوسف عن مصاريف الذهاب للشيخ خليفة لإخباره، والله العالم، ولو دققنا في قصيدة الملا المطوع لوجدنا أن كلمة (المندمر) التي تعني سعيد الحظ والموفق، تفيد أن العشرين روبية هي مبلغ إضافي، كما يفيد ذلك البيت كاملاً بأن التعويض الإضافي للحاج يوسف، الذي هو محض زيادة كان قريباً من مبلغ تعويض الحاج حسن المؤذن عن أضرار قاربه، فالأخير لم يؤمن له التعويض حاجته، في حين أن باقي تعويض الثاني كان مقارباً لتعويض الحاج حسن فلاحظ.

6. **أسد أم نمر أم فهد:** اشتهرت الحادثة باسم حادثة الأسد، إلا أن الحيوان المفترس الذي سبب الرعب للأهالي لم يكن كذلك، إذ كان كبار السن سابقاً يسمون النمر بالأسد، ولذلك نجدهم تارة يسوقون القصة على أنه نمر، وأخرى على أنه أسد، غير أن ذكر الأسد كان المرجّح. في الواقع وعلى وجه الدقة لم يكن ذلك الحيوان نمراً، فضلاً عن أنه لم يكن أسداً أيضاً، بل هو فهد أسود والنمر والأسد لا يمكن أن يكون لونهما أسود.

اشتباه في كتاب (العقد الثمين في تاريخ البسيتين):

ذكر الباحث الفاضل عبد الرحمن بن شاهين المضحكي، قصة مشابهة لحادثة الأسد، ونسبها إلى قرية البسيتين راوياً عن عبدالله العبيدلي، وهذا نصها: (في الخمسينيات هرب

فهد من القفص، خلال نزوله من الطائرة في مطار المحرق، الأمر الذي جعل المنطقة في حالة خوف وهلع، وصدر أمر من الحكومة بعدم الخروج من المنازل، حيث جرى[حضر التجوال] وبحث رجال الشرطة عنه في منطقة المحرق إلى أن وجدوه في منطقة البسيتين، وهو رابض تحت قارب قديم، وقام أحد أنجال الشيخ علي بن خليفة آل خليفة برميه في الموقع المذكور فأرداه قتيلاً). وعلى ما يبدو فإن الكاتب لم يكن يعلم بتفصيل حادثة الأسد، لذلك اعتمد على رواية، أُحاد رواها له أحد رجالات البسيتين وهو عبدالله العبيدلي، والتي فيها الكثير من الخلط والاشتباه، حتى في تحديد اسم الرامي الذي كان أوضح من الشمس، وهو الشيخ خليفة رئيس الشرطة، بينما لم يذكر العبيدلي اسم الرامي مكتفياً بالقول إنه أحد أنجال الشيخ علي بن خليفة آل خليفة. ومن المعلوم أن حادثة الأسد واحدة، ولم يذكر لنا تاريخ البحرين حادثة شبيهة لها، فكيف ستتكرر الحادثة مرتين، وفي منطقة واحدة هي جزيرة المحرق وفي الفترة نفسها وهي الخميسنيات؟!! وعليه فإن الحادثة التي نقلها الكاتب المضحكي عن العبيدلي، إنما هي حادثة الأسد في سماهيج نفسها ، إلا أنها قد شابها الخلط والاشتباه ونقص في التفاصيل، فالواقعة لم تكن في البسيتين ولكن نظراً لكون البسيتين داخلة في التفاصيل من قبل الشيخ خليفة، الذي كان قاطنا هناك، ما اضطر الحاج يوسف آل خرفوش للذهاب إلى تلك القرية الكريمة، ثم إن قاتل الأسد والمتصدي للمسألة، وأحد أبطال القصة الرئيسيين هو الشيخ خليفة نفسه ، فقد سبب ذلك في توهم الكاتب والراوي بأن الحادثة حصلت في البسيتين.

ومما أحسبه سبباً رئيساً للخلط والاشتباه هو حصول حادثة هروب مجموعة من القردة من دائرة الشحن، وتفرقها في مزارع البسيتين في نهاية الخميسنيات ومطلع الستينيات، وهي فترة زمنية قريبة من حادثة الأسد، وقد ذكرها الكاتب المضحكي قبل حادثة الأسد، بعد أن عنون الحادثتين بعنوان جامع هو: (البسيتين وهروب القرود والفهد). يذكر الكاتب المضحكي أن الذي اصطادها هو أحد رجالات البسيتين واسمه راشد الطبشي، حيث اصطاد اثنين منها أحدهما في بستان سيادي والآخر في منزل علي مبارك البوسميط.

ويبدو أن القردة التي هربت أكثر من اثنين، إلا أنه لم يُعثر إلا على اثنين فقط، ولا يعلم أين ذهبت البقية، إذ من الممكن أن يكون بعضها قد مات أو هرب إلى مناطق أخرى، كما يمكن أن يكون قد هرب إثنان منها فقط والله العالم.

وإذا لاحظنا طريقة الكاتب المضحكي في التوثيق للحادثتين، فسنجد الفرق واضحاً، إذ إن حادثة القردة موثقة بصورة تفصيلية، حيث لم تهمل الرواية ذكر الشخص الذي اصطاد القردين، كما أن المكانين اللذين جرى فيهما اصطيادهما

هما مزرعة ومنزل معروفان بالاسم، وكذلك الأمر بالنسبة إلى طريقة الاصطياد، إذ بينت الرواية أنه قتلهما كان بالرصاص. أما حادثة الفهد فقد كانت مبهمة من أولها لآخرها، فلم يعرف اسم الشخص الذي اصطاده، ولا ملكية القارب الذي كان الفهد رابضاً فيه، ولا سيناريو الاصطياد التفصيلي، الأمر الذي يشير إلى أن حادثة القردة قريبة جداً من ذاكرة الموروث الشعبي التاريخي البسيتيني، فيما لفّ الغموض حادثة الفهد لكونها بعيدة كل البعد عن الموروث البسيتيني. والعكس صحيح فلو سألت الموروث السماهيجي عن حادثة القرود، لما كان فيه ما يشير إليها، وأنا شخصياً لم أعلم بحدوث حادثة كهذه إلا حينما رأيتها في كتاب العقد الثمين في تاريخ البسيتين، بينما الوضع يختلف تماماً فيما لو سألت الموروث السماهيجي عن حادثة الأسد، حيث ستجد التفصيل الدقيقة والمعالجات التحقيقية والروايات المختلفة حول تفاصيل مألوفة، إذ أفرد كتاب سماهيج في التاريخ لهذه الحادثة صفحتن ونصف الصفحة (214-216)، فيما أوردنا نحن في كتابنا هذا عدداً كبيراً من الصفحات، أنتم أعلم به فراجعوه؛ لأنه ما زالت في جعبتنا بعض النكات والمعلومات بخصوص الحادثة والتي لم ننته بعد، فتابعونا.

كبار السن بالمحرق وحادثة الأسد:

لا يزال كبار السن بمدينة المحرق يتذكرون جيداً حادثة الأسد، ويتذاكرونها فيما بينهم، كلما دعا داعٍ، ويسردون الحادثة كما هي ولكن بتفاصيل مختلفة قليلاً، لكونهم لم يشهدوا الحادثة وإنما نقلت إليهم عن طريق الشياع أو من شهود عيان، وهذا بطبيعة الحال يفقد السرد أجزاءً، قد يصعب استرجاعها. وكذلك فإن رواية أهالي القرية للحادثة تكون قطعاً مرتكزة على قواعد سماهيجية، من حيث المعالم والأماكن والأسماء المرتبطة بها من دون سواها، فنجد التركيز على اسم البطل الأول والأكبر، وهو الحاج يوسف آل خرفوش، وكذلك على صاحب القارب الحاج حسن المؤذن، وبالرغم من سرد تفاصيل شجاعة الشيخ خليفة رئيس الشرطة وجرأته إلا أن تأكيد جرأة الحاج يوسف آل خرفوش كان أكبر، وهو صحيح لكن كان لجرأة رئيس الشرطة دور كبير في إنهاء الحادثة على خير، كما أنه هو الذي أصاب الأسد بلا منازع.

وإذا ما رجعنا لرواية أهالي مدينة المحرق فسنجد أن تركيزهم كان على بطولة الشيخ خليفة وجرأته وشجاعته وحنكته ومهارته ، ويسردون الحاثة على أساس أنها من أمجاد الشيخ خليفة، ولكن لا يذكرون شيئاً من مآثر الحاج يوسف آل خرفوش ومواقفه؛ لأنهم أصلاً لا يعرفون تفاصيل الحادثة، وإن علموا أن هناك بطلاً قد عرّض نفسه للموت، في سبيل حماية الأهالي، فإنهم لم يكونوا يعلمون أنه الحاج يوسف آل خرفوش، بالرغم من علاقات الأخير الوطيدة حتى مع أهالي المحرق.

الأستاذ عبدالله خليل الأسد:

من أجمل والطف وأهم ما يربتط بحادثة الأسد علاقتها

الوثيقة بمولد أحد أعلام القرية، وهو الأستاذ الفاضل الحاج عبدالله بن خليل بن إبراهيم مريضي (قريص)، حيث لقب بالأسد نسبة إلى تلك الحادثة الشهيرة، ومن المُتيقّن أن الأستاذ قد ولد في عام الحادثة نفسه، إلا أن اليوم والشهر غامضان، فلا يُعلم هل كان الأستاذ قد ولد في يوم الحادثة نفسه أو الشهر نفسه أو بعد ذلك ؟

ومن المؤكّد أن توثيق كتاب سماهيج لسنة الحادثة وهو عام (1954م) إنما كان من خلال معرفة العام الذي ولد فيه الأستاذ عبدالله خليل، ولكن الكتاب لم يناقش الأمور التفصيلية الخاصة بتلك السنة، كما أنه لم يتطرّق لأي علاقة بين الحادثة وسنة وقوعها وبين الأستاذ عبدالله خليل، وليس ثمة ما يوثق التاريخ الحقيقي لمولد الأستاذ وبالتالي التاريخ الحقيقي للحادثة، ولو علمنا بالفارق الزمني الفاصل بين الحادثة ويوم مولد الأستاذ، لاستطعنا توثيق مولد الأخير على وجه الدقة باليوم والشهر.

في الحقيقة لا يمكن الركون إلى القول: إن الحادثة كانت في عام (1954م)، لأن الأستاذ عبدالله خليل لم يولد كذلك في تلك السنة، فهو من مواليد عام (1952م) حقيقة لا كما هو مذكور في جواز سفره، إضافة إلى أن الأستاذ الفاضل قد ولد فعلاً يوم العشرين من صفر، وهو ما يصطلح عليه عند الشيعة (ردود الراس) أي اليوم الذي رُدَّ فيه رأس الإمام الحسين عليه السلام إلى قبره الشريف، بعد أن فصله بنو أميه وطافوا به في الشوارع والبلدان تشفياً بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، إلى أن أرجعه ابنه الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام يوم العشرين من صفر إلى كربلاء، حيث موضع قبره، وهذا أمر مُتيقَّن وواضح ولا لبس فيه.

وعليه فإن الحادثة وقعت في العشرين من صفر عام (1372هـ) الموافق ليوم السبت 1952/11/8م، فيما كان هروب الأسد في ليلة الحادي والعشرين من صفر الموافق للجمعة 1952/11/7م فدقق.

وجدير بالذكر أن سلمان بن حميد بن محسن ياجدك، قد ولد في يوم ولادة الأستاذ عبدالله خليل مريضي نفسه، إلا أنه لم تُسلَّط عليه الأضواء، ولم يرتبط ميلاده بالحادثة كما عليه حال الأستاذ عبدالله.

*تربوي وباحث بحريني
مهتم بتدوين التراث الشفهي
لقرية سماهيج

رحلتي مع المخطوط

عباس مزعل*

سنون قليلة تلك التي زعمت أنها رحلة، ولا أظنني بلغت فيها الغاية، أو قطعت ذلك الشّوط الذي قطعه بعض أصدقائي، في جمع المخطوط ومحاولة تحقيقه أو إخراجه، وبرغم قلتها إلاّ أنّ الفائدة التي كسبتها، والخبرة التي حظيت بها، بدّلتا بعض المفاهيم التي كنت أميل إليها في التحقيق والتدقيق والتعليق!

فقد كنتُ أتجاوز تحقيقاتهم في إثبات مؤلفاتهم، لظني أن فضلهم فيه لا يتجاوز تهذيبًا وترتيبًا أو تعليلًا، ربما جاوز الصواب أو جاوز حقيقته، وربما بالغت وانتقدت من يزعم أنه يملك طبعة كتاب قديمة، أو حجرة ويحتفظ ببعض الأوراق الصفراء، ويفخر بامتلاكه لها، ليس استهانة بما يملك، ولكنه الإشفاق من التعب والنصب في قراءة هذه الأوراق وتدوينها الفاخر في طبعاته، وهو ما لا يرهق عينًا أو يضيع وقتًا لفهم عبارة أو تأويلها، ومن داوم على حب الكتاب وتقليب صفحاته، سيعذرني بل سيخلق لي بعض العذر ، وعلى كل حال فلم أعلم- حينها- أن التهذيب والترتيب وحسب دونهما جهد جهيد وصبر، لا يتحمله إلا من آلى على نفسه أن يخدم العلم وينحت في صخره، أما التعليق والتدقيق والتوثيق، ومن ثمّ التهذيب والترتيب فخطوة في سفح، وتلك تشابه تسلق الشواهق والجبال!

والبداية مصادفة، فقد تعوّدت أن أصحب بعض أصدقائي من المشايخ في المجالس الحسينيه ولا سيّما أيام محرم الحرام، وربما تحدثنا في بعض المواضيع التي يطرحها أو اتفقنا في طرح هذه القضيه وتفنيد ذلك الرأي أو الرواية، وكان أن تفاخر في بعض أيامه بأنه يملك مفتاح الجنة، وحين استفهمت منه أطلعني على مخطوط «أبي المكارم» وزعم انه سيبدأ في تحقيقه وتهذيبه، فعرضت عليه المساعدة في كتابته، وربما أستطيع مساعدته في التهذيب والشرح أيضا.

وقد تبينت فيما بعد، أن الكتاب كان مهملًا في أحد الملاحق التابعة لمأتم «آل إسماعيل» بقرية النويدرات، إلى أن انتشله

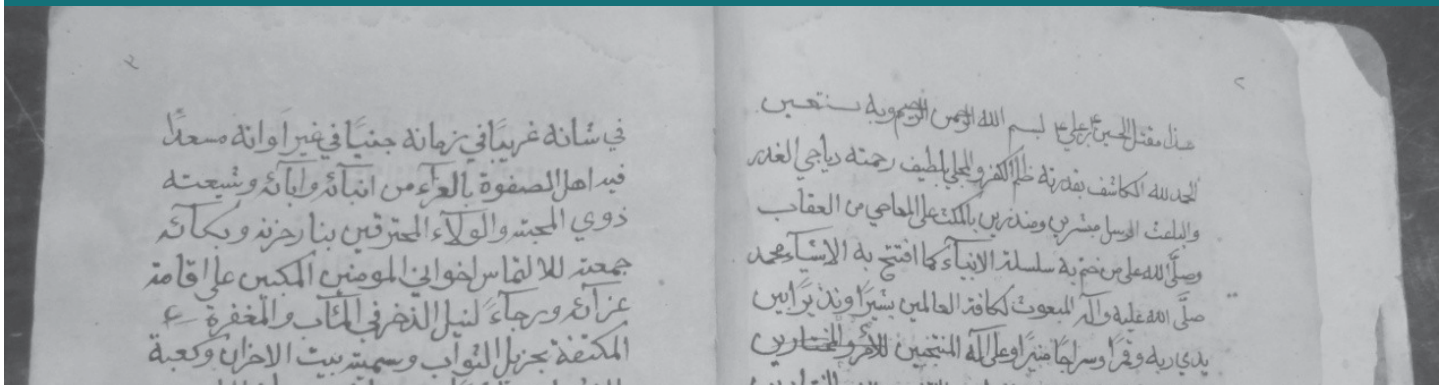

أحد الاساتذة عازماً على تحقيقه أيضًا، وقد صوّره صديقنا جاسم آل عباس (صاحب موقع سنوات الجريش) من عند الأستاذ وعزم على صفه ونشره من دون تحقيق، إلى أن شاءت المصادفة أن يحادثه صديقي الشيخ في أمر « أبي المكارم « وصلة قرابته به، فعرض عليه تحقيق الكتاب الذي أخذته أنا منه، وأزعم كما زعموا ولكنه زعم موفق!

قرأت عن التحقيق كثيرا، وبدأت في كتابة المخطوط، وأنا أعرف أن صفّه أبسط الأمور وأسهلها، وربما ساعدني أن الناسخ – وكان من أقرباء الشيخ « أبي المكارم «– كان جميل الخط، كما أنّ صديقي صاحب الجريش كان قد صفّ ثلثه، والمعوقات التي واجهتها تختصر في نقطتين:

- غياب نسخة أخرى أقابل بها نسخة الشيخ، برغم أن النسخه التي أملكها كتبها ابن أخته الذي كان يستكتبه كثيرا لجمال خطه ويثق به.

- الابيات الشعريه التي نظمها المؤلف في الكتاب، أكثرها غير موزون أو يكون الشطر فيه ناقصاً بعض حروف أو كلمات تخل بالبيت وزنًا ومعنى.

وأظنني بالغت في البحث عن نسخة أخرى أقابل بها نسخة الشيخ، فكان أن أوصيت بعض أصدقائي بالبحث في العتبة الحسينيه والعباسية حيث زعم لي بعضهم أن نسخة أخرى موجوده هناك. لم يثمر بحث صديقي، فواصلت البحث واتصلت ببعض أقارب الشيخ علّني أحصل على تلك النسخه أو ديوان الشيخ– المخطوط كما علمت– الذي أقوّم به وزن أبيات الشيخ في كتابه في أضعف الأحوال.

في بداية الامر اضطررت إلى اللجوء الى بعض الشعراء، كحل بديل، ليكمل تلك الابيات ويقوّمها، ثم نشير الى ذلك التعديل في الهامش، فذلك أهون من أن ننشر أبياته مبتورة، وهو صاحب صيت في الشعر، وقريحة يفخر بها أقاربه.

تواصلت مع قريب الشيخ وأبدى الرجل حماسة، وقرر ان يوزع الأدوار بيني وبين صديقي الشيخ وصديقنا صاحب الجريش، والرجل حمل عصا الوصاية وقرر وأشار، ثم نصّب نفسه المشرف على العمل.

ولقد بالغ في ذلك، حتى قررت أن لا ألتفت إليه واواصل ما بدأته، خصوصا وأن أصدقائي أبدوا تذّمرهم من سطوته وتوزيعه الأدوار، وتركوا العمل على عاتقي، وقد ألّح الرجل في رؤية عملي في الكتاب، فافهمته أن ذلك تحقيق أولي

سيراجع مرة ومرارا ، فلم يلتفت إليّ، وقرر في جلسة أخرى – التي جمعتني وأصدقائي به – ان هناك هنات عظيمة في تحقيقي – وعلى أساسها وزع الأدوار - تبينت بعدها أن الرجل لم يتحقق في حكمه، وأن ما أدرجته هو الصواب برغم أن التحقيق في بدايته !

قررت بعدها – كما أسلفت – أن لا ألتفت إليه، وأن أكمل ما بدأته، فأرعد الرجل وهدد بانه سيلجأ إلى القضاء إن فكرت في نشر الكتاب ! ، وأذكر اني قبل سنوات – أظن أنها بداية الألفيه الثانية - كتبت كتابا تتبعت فيه قبور علماء البحرين وأدرجت في هامشه ترجمة الشيخ جعفر - حين رصدت كتبه - هذه العباره « الغريب أن الشيخ جعفر أبو المكارم على ما يتمتع به من الشهرة بالعلم ، وقرب عهده بنا إلا أن معظم كتبه ما زالت مخطوطه !!

بل ذكر لي أحد من أثق فيهم أن أحفاده لا يسمحون بان تقرأ كتبه خارج مكتبته « وأظنني تبينت جليا صدق ذلك بل أكثر منه ، وللعلم طلبت من حفيده نسخة مما يملك حتى اقارنها بنسختي وطلبت ديوانه أيضا لأقوّم المعوج من أبيات الشيخ في المقتل ولا أظنه استجاب .

وعلى كل حال فلن يكون أحفاد الشيخ أول من يضن بما لديه ، ولن يكونوا آخرهم ، وقد ابتعدت مدة عن تتمة ما بدأت ليس خوفا من تهديده ، ولكنه عمل – في رأيي – بَعُد عن العلمية وأصبح صراعا أو تصارعا .

وكثفت جهود رحلة البحث عن المخطوط ، فشرقت في البلاد وغربت، وقابلت كثيرا وجمعت بعضا لا استهين به بل حققت كتابا لم أنشره أيضا، وقد كنت قررت في قرارة نفسي ان أحقق ما أستطيع وأترك لغيري ما لا يدرج تحت تخصصي ، واظنني قابلت أجناسا فاقوا حفيد الشيخ في ذلك الضن وإن استجاب كثير منهم ورحبوا، وتلك قصة أخرى .

المهم أن النفس لم تستسغ أن تترك ما بدأته ، فقد عزمت على تحقيق غيره، ويشاء القدر أن يكون لأبي المكارم أيضا كما تبينت حين تصفحته !! فعزمت على إكمال ما بدأت سرا، وشدّ من عزمي مهاتفة أحد أقرباء الشيخ لي - وكان قد أمدني بنسخه من ديوان الشيخ جعفر مخطوطا قبل ذلك – وحثني على تتمة ما بدأت، فوافقته على أن لا يسألني عن الكتاب حتى أنهي العمل، وأن يجري هذا في سرية حتى يطبع وهو ما كان .

بدأت في مراجعة الكتاب ، وإن لم أترك بحثي عن نسخة مقابله حتى وجدتها عند أحد أصدقائي من المشايخ وتبين أن الناسخ كان يقطن في القرية المجاوره !! ولعل تلك النسخه كانت هبة من السماء وفتحا في توثيق عرى المخطوط ، فالرجل سد الخلل الذي عانيته في أبيات الشيخ، برغم أن نسخته مبتوره وتبدأ من المجلس الخامس، فكانت موزونه لا ينقص أبياتها تلك الكلمات التي أخلت بوزنه ومعناه في النسخه الأولى، والغريب أني لم استفد من الديوان في

ضبط الوزن أو لعدم وجود بعض قصائد الشيخ المنظومة في المقتل فيه !!

والمخطوط - واسمه « بيت الأحزان وكعبة الأشجان « - كتبه الشيخ جعفر بن الشيخ محمد الشهير بأبي المكارم لزوجته – كما نقل لي بعض احفاده – لتقراه في مجالس عاشوراء، واعتمد في كتابته على كتاب بحار الأنوار، بل نقل عنه في بعض الأوقات نقلا، ومن نسخة قديمة تختلف في بعضها عما طبع حديثا، ثم كتاب مدينة المعاجز للسيد هاشم التوبلاني وكتاب الدربندي إكسير العبادات، حاولت فيه ان أبلغ المدى، وأن أضع نفسي مكان المستمع لخطيب المنبر الحسيني الذي كان يعجم وينقل من دون ان يجيب عن كثير مما كان يُخيّل إلينا ونحن صغار من السيرة الحسينيه، سوى قال وقيل من دون شرح أو تعليل، ولا أظنني بلغت فيه بعد ذلك المأمول، وإن أفدت منه كثيرا في الغوص في كتب التراث بشكل أعمق بكثير، ساعدني في تتمة كتاب آخر وتحقيقه في كثير من اليسر، على أن الفائدة الكبرى تتمثّل في أنه جعلني مولعا بتلك الأوراق الصفراء كلفا بها، لا أصبر على أحد أضاع ذلك الإرث بسبب إهمال أو وجل، أو أن تكون في مهبّ الرياح وعرضة لامطار الشح، تغمرها وتنذر بفقد كنوز علم وتعلم !

*باحث بحريني
مهتم بتحقيق المخطوطات

متابعات

متابعات

وسام السبع *

النجف: صدور العدد الاول من مجلة (ديوان التراث) التراثية التخصصية

أعلنت مؤسسة دار التراث في مدينة النجف الأشرف عن إطلاقها مجلة (ديوان التراث) والتي تعنى بشؤون التراث الإسلامي من الكتب والمكتبات والمؤلفين.

وقال مسؤول العلاقات العامة والإعلام في المؤسسة حسن الأعسم، ان «مؤسستنا وضمن الخطط والبرامج التي تعمل عليها هو نشر الثقافة الخاصة بالتراث عبر العديد من الوسائل ومن تلك المشاريع الثقافية التي عقدت العزم عليها هو إصدار مجلة خاصة بالتراث بعنوان (ديوان التراث)».

وأضاف الأعسم « تُعنى هذه المجلة التي بلغت صفحاتها الـ 1000، بالبحث والتنقيب عن كل ما يتعلق بالتراث والتراثيين بشؤون التراث الإسلامي من (الكاتب والكتب والمكتبات) وسيكون صدورها بشكل دوري «، مشيراً الى أن « من أولوياتها هو الاهتمام بالتراث عموماً والتعريف بالفكر الشيعي وأصوله العلمية وكذلك الاهتمام بشكل عام بمستجدات التراث الإسلامي في العالم وترجمة الأبحاث

والدراسات القيّمة الشيعية من اللغات الأخرى إلى العربية ليطلع عليها الباحث بلغة الضاد، فضلاً عن السعي الجاد لتفعيل دور المكتبات في البناء الثقافي للجيل الجديد».

وتابع «كما تسعى المجلة الى جمع البحوث والدراسات المتعددة عن شخصيات علمية مرموقة التي قدمت جهوداً وخدمات جليلة للفكر والتراث الشيعي لتفرد في كل عدد من اعداد المجلة محوراً للحديث عن شخصية من تلك الشخصيات المهتمة بالشأن التراثي وإخراج ملف مستقل عنه»، مبيناً ان «ملف العدد الاول تم تخصيصه لمؤسس مكتبة كاشف الغطاء في النجف الأشرف العلامة المؤرخ المتتبع الشيخ علي بن محمد رضا آل كاشف الغطاء (قده) صاحب كتاب (الحصون المنيعة في طبقات الشيعة)».

هذا وتدعو اللجنة المشرفة على إصدار المجلة جميع الباحثين والمهتمين بالشأن التراثي بالإسهام والمشاركة عبر كتابة الدراسات والبحوث العلمية المنسجمة مع التوجهات الفكرية لهذه المجموعة والتي لم يسبق نشرها باللغة العربية».

صدور العدد الأول من مجلة جدحفص

صدر العدد الاول من المجلة المجلة الموسمية جدحفص في يناير 2016 وهي مجلة ورقية موسمية اجتماعية ثقافية وثائقية تصدر عن منتدى تاريخ وتراث مدينة جدحفص، من اعداد حسن الحلال ومراجعة لغوية حميد مهدي وتنفيذ محمد الموسى.

وتضمن العدد الاول الذي تم توزّيعه مجاناً على المهتمين بتراث البحرين عموماً وجدحفص بشكل خاص مجموعة من التقارير المصورة والمقالات والصور القديمة والحديثة، ومن أبرز المواضيع التي تضمنها العدد الواقع في عشرين صفحة (معنى جدحفص وجغرافيتها) ومقالة للسيد حميد بن السيد مهدي الشرخات (جدحفص بين اللغة والتاريخ) وريبورتاج حول مساجد جدحفص كتبه معدّ المجلة حسن الحلال، وتقرير آخر حول فريق (حي) الصاغة وأهم معالمه من مساجد وحسينيات وأشهر مجالسه وأسره.

كما تضمن العدد مقالة حول تاريخ النهضة الثقافية الحديثة في جدحفص ورموزها الأوائل، فيما ضم العدد نبذة حول الاستاذ عبد العزيز القصاب بعنوان شخصية العدد.

ولقد أبرز العدد حرف ومهن اهل جدحفص قدياً وقدم معلومات طريفة حول صناعة الحلوى ودور أسرة عبد الله بن أحمد الحلواجي في تطور هذه الصناعة.

أما في زاوية (من أعلام جدحفص) فقد ابرز العدد شخصية السيد عبد الرؤوف الموسوي الجدحفصي اعتماداً على ما ورد في كتاب غاية المرام في تاريخ الأعلام للسيد هاشم السيد سلمان، ومن الكتاب نفسه تم إبراز شخصية السيد علي الكامل ضمن محور شعراء جدحفص، وليس بعيداً عن الشعر والادب، فقد ضم العدد قصيدة للاستاذ ميرزا الحبيب بعنوان >جدحفص أيقونة الماضي الجميل<.

وكان للصورة الفوتغرافية موقعها في إبراز جانب من جوانب الحياة الاجتماعية في ماضي وحاضر جدحفص، فقد حفل العدد ببعض الصور التي تكشف الجانب العمراني والاجتماعي والتاريخي لحياة هذه المدينة العريقة.

*باحث بحريني

ذاكرة الصورة

سيهات ...نورس يطلّ علينا من قلب القطيف

أثير السادة*

ما بين الماء والماء

سيهات .. وطن للنّوارس كباقي المدن والقرى المطلة على الساحل في منطقة القطيف، يهبها الماء سيرتها الأولى التي تتقاسمها قوارب البحّارة والغواصين في بحثها عن اللؤلؤ، وعن الأسماك، أحد الأطباق الرّئيسة على مائدة القوم.

المدينة الصّغيرة التي تتوسط مدينتين كبيرتين: الدّمام والقطيف، لا ترى نفسها إلا في دروس الجمع، فحتى اسم المكان مشتق من «سيحات»، جمع سيحة، أي البقعة الزراعية، حيث جُمِعَت الماء إلى الخضرة، وسيرة البحر إلى سيرة النخيل التي طَوّقت حدودها الشمالية الغربية، وجعلت منها واحة غناء، وما تزال، على الرّغم من ملوحة التربة، وقسوة الشمس.

الدلال محمد الحكيم يفتتح الحراج على صيد البحارة في سوق السمك بسيهات في ثمانينيات القرن الماضي.

كان البحر مصدر الرزق الرئيس قبل حقبة النفط لأهل البلدة، ولهم في سنواته وتقلباته الكثير من الذكريات.

أحد البحارة من أهالي البلدة متجها لسوق السمك القريب في نهاية السبعينيات، يوم كان سوق السمك بسيهات يضج بالحياة والناس.

نداءات إردين

كان «عيال ردين» نداءً يجمع الناس في زمن الخوف على الشجاعة والنخوة، وفروض الحرب التي كانت ترسمها طبيعة العلاقة بين أهل البلدة والغزاة من البدو، تلك العلاقة التي رسمت جغرافيا المكان عبر البوابات التي تحصن البلدة في ما كان يعرف بـ»الدّروازات».

وما يزال هذا النداء كالماء يروي صورًا أخرى من الاجتماعات المنتجة للحياة، والصّائنة لها، فالنّاس الذين احتشدوا لنداء إردين بالأمس، وجدوا أنفسهم معنيين بالاحتشاد خلف أول جمعية خيرية في طول الوطن وعرضه، جمعية سيهات للخدمات الاجتماعية، التي تمثل لحظة تأسيسها في السبعينيات الهجرية حدثا لا يغفو في ذاكرة المكان، حيث الحلم بمدينة فاضلة يتكاتف فيها الناس مع بعضهم البعض، فكانت الجمعية محطة للأنشطة التي تبدأ بالفقراء واليتامى والعجزة ولا تنتهي عندهم، بل تمتد إلى كل أنواع العمل الخيري والإجتماعي.

نادي الخليج الذي كان يُعرَف بنادي «النسر» في منتصف الستينيات الهجرية هو باب آخر في كتاب حياة هذه البلدة، كان أول النّقش في دفاتر اللعب والفن والثقافة، وحين تطالع الأرشيف، لا تجد إلا حشودًا تتوازع المكان الصغير لتوسّع من أحلامه، وتطلعاته، تحدثك الأخبار عن أمسيات فنية ساهرة، ومعارض تشكيلية، وكائنات في صداقة دائمة مع ساعات اللعب الجميل، تنقّل النادي منذ ولادته، وعلى مدى عقود في مقرات عدة، قبل أن يحظى بمقر رسمي متكامل، يحوي كل المرافق اللازمة لممارسة مختلف الرياضات الجماعية والفردية، وفي مقدمتها كرة اليد التي ساهم نادي الخليج برواجها عبر المنطقة الشرقية، حتى أصبحت فرق السّاحل الشّرقي تتقاسم الدّوري السّعودي.

وفرت جمعية سيهات للخدمات الاجتماعية الرعاية الصحية للمسنين عبر دار العجزة الذي يوفر المأوى والعلاج لمن لا يجدون معيلا لهم.

أبناء البلدة يجتمعون لوضع اللبنات الأولى لمشروع بيت الطفولة السعيدة في السبعينيات، حيث شاركوا جميعا في مراحل البناء.

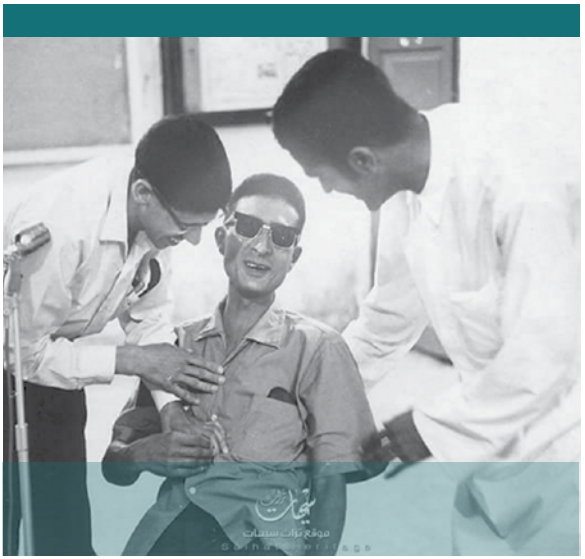

مشهد تمثيلي يعكس طبيعة الحياة الثقافية والفنية في أروقة نادي الخليج الذي يعد من أوائل الأندية في المنطقة الشرقية.

يمضي الشباب ساعات فراغه في الترويح واللعب عبر الأنشطة التي يتحيها نادي الخليج.

نسائم الفرح

يغمرهم الفرح في كل عرس يزين البيوت بالأفراح، وتهب في الأزقة نسائم مطرزة بنشوة البخور التي تحيل سيهات أسرة واحدة، لا يتبادل الأفراد فيها عبارات الفرح فقط، بل أشواط التعب في يوميات العرس التقليدية، حيث الذبح والطبخ والاغتسال في العيون الطبيعية بمثابة طقس جماعي يبجّله الناس، ويتباركون بالمشاركة فيه.

للأعراس تراتيلها المتواصلة في ليالي الفرح التي تبدأ غالبًا ليلة الخميس وتستمر حتى عصر الجمعة، تجري فيها أنهار المدائح النبوية عبر مكبرات الصوت، والأراجيز المتعارف عليها في هذه المناسبات، لتصبح هي والأضواء المشعة دليلًا للعابرين من طرقات المدينة.

في العيد كان للفرح نافذة تطل من زاوية «المعيد»، حيث يستقر اليوم مسجد العيد، الذي أصبح اسمه مسجد عيد الغدير، هناك يجمع الرمل الناس من أصغرهم إلى أكبرهم حول أناشيد العيد وألوانه، أكمامهم البيضاء الطويلة كبياض قلوبهم التي تغتسل في هذا اليوم من همومها. في ساحة العيد، يتسابقون، ويتهادون، ويتركون ابتساماتهم قلائد تزين فضاء المكان.

مشهد للأطفال وهم في ذروة البهجة يحتفلون بالعيد في «المعيد».

أقارب العريس وأقراباؤه يزفونه بالشموع في ختام فعاليات ليلة الزفاف والتي سيعقبها المباركة في الصباح الباكر من اليوم التالي.

أجراس الذاكرة

جامع الإمام المهدي (عج) يطل بمئذنته الرفيعة من وسط الديرة، كأول جامع بمنطقة القطيف، فكان قبلة المصلين في أيام الجمعات، وخاصة أتباع المدرسة الإخبارية والشيخ حسين العصفور البحراني، إذ كان التردد والامتناع عن إقامة الجمعة هو التّوجه السائد لدى المدرسة الأصولية بالمنطقة.

لم يبقَ الكثير من آثار مدينة سيهات وشواهدها التاريخية نتيجة للتّمدد العمراني باتجاه البحر واتجاه الرّقعة الزراعية، وكان آخرها عين «الكعبة» التي جرى هدمها في القريب، وهي من الينابيع التي تروي مزارع سيحة سيهات، وتعود تسميتها بحسب المصادر إلى القرن الرابع الهجري حيث يسود الاعتقاد أن القرامطة جلبوا الحجر الأسود إليها واتخذوها كعبة!.

هناك أيضا التل المعروف بـ«جبل القرين» والذي تسكن خلفه الكثير من الحكايات والأساطير المحلية ، ويقع في الطرف الغربي من المدينة، ويُرجّح الباحثون أن يكون مدافن عائدة لمرحلة قبل الإسلام، وقد يكون هذا الأخير الوحيد الذي مازال صامدًا وحاضرًا بين ظهراني الناس.

*مصوّر وكاتب

صورة قديمة لعين الكعبة وكانت تعرف بغزارة مائها المتدفق طبيعيا، وتسقى منه البساتين والمزارع الواقعة إلى غرب البلدة.

صورة تعود للخمسينيات من القرن الفائت وفيها بدايات التوسع العمراني، حيث كان حي العمال متاخما للبحر.

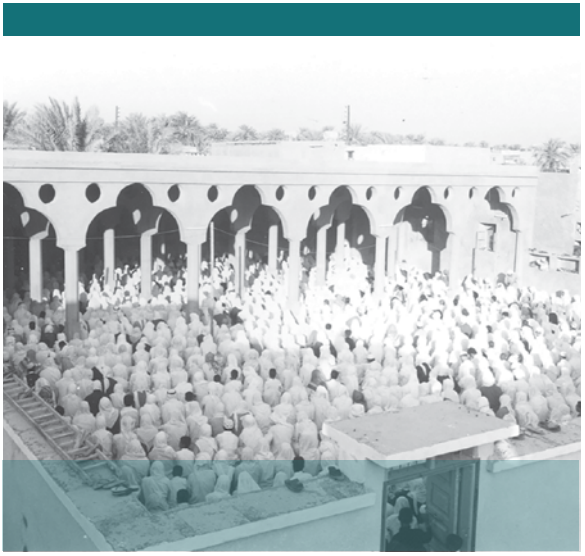

جانب من المؤمنين يؤدون الصلاة في جامع الإمام المهدي

صورة تظهر المئذنة الرفيعة للجامع.

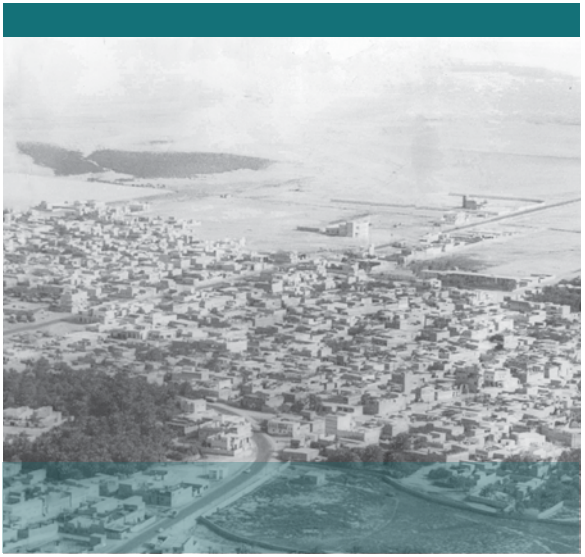

منظر جوي لمدينة سيهات كما كانت تبدو في بدايات التوسع العمراني.

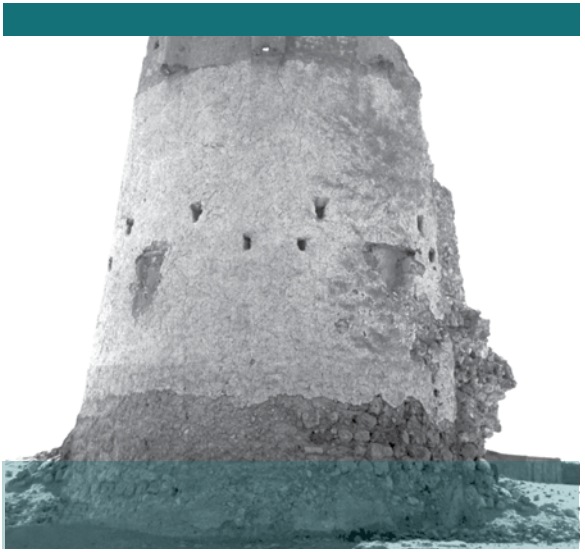

برج المراقبة، أو «البري» في المحكية المحلية، وهو ما تبقى من سور مدينة سيهات وقد أزيل في العام ١٤٠٠.

أرشيفو
ARCHIVO

نشـرة تهتم بموضوعات الأرشـيف تصدر عن
مركـــز أوال للـدراســـات والتوثيـــق

ISSN 2414 - 5386

مركز أوال للدراسات والتوثيق
AWAL CENTRE FOR STUDIES AND DOCUMENTATION
info@awalcentre.com | www.awalcentre.com
awalcentre